

قلعة الممانعة

دراسة شاملة لعناصر فشل المؤامرة على المشهد السوري
في ظل مسار الصراع في منطقة الشرق الأوسط

الباحث السياسي
هشام أحمد صقر

٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

إهداء

عربون محبة ووفاء

إلى القائد العظيم بشار حافظ الأسد...

إلى صاحب الرؤية الثاقبة من أرباب النفوس الطاهرة الثامة..

إلى من أدرك خفايا الصراع بصفاء عقله وزكاء نفسه..

إلى من لا وجود عنده للمستحيلات مهما بلغت الضغوطات..

إلى من لم تُرهبه الظروف.. ولم يخضع للعواصيف..

إلى سيّد الأمة، سيّد السادة وسند السيادة..

إلى الذي اختارته الإرادة الإلهية ليكون فعله من العالم العقلي والمركز الروحي..

هشام...

الإهداء

* إلى الشعب السوري الواعي الصادق.. صاحب الحلقة الخطيرة في الصراع الاستراتيجي.. الذي كان صمام الأمان برفضه تقديم التنازلات وتمزيق نسيج الوحدة الوطنية عندما أراد حماية الاستقرار.. فأجهم المخطط التخريبي المستهدف لوحدة وسلامته.. وكشف كذب محطات التحريض الإعلامية الفضائية....

* وإلى الجيش العربي السوري الوطني حافظ الأمن والاستقرار وشهدائه.. الذين رفضوا زعزعة الاستقرار من قبل الجماعات المشبوهة.. فأفشلوا خيوط اللعبة، وحركوا المعادلات والتوازنات لمنع استنزاف الشعب السوري، وأوقفوا المخطط التخريبي للجماعات الإرهابية المسلحة بالدعم الكامل من السوريين....

هشام...

تمهيد

أقدمُ كتابي هذا إلى رُوَادِ وَطَلَّابِ منارة الصمود الذين ينشدونها فوجدوها في
سورية بشار الأسد..

أقدمُهُ إلى تِلْكَ الرّايَاتِ الصّامدة التي تُسقى مِنْ غديرِ القَائِدِ الأسدِ،
أقدمُهُ إلى كُلِّ الذينَ يَعْمَلُونَ بِتَوْجِيهَاتِهِ وَتَمَسَّكُونَ بِتعاليمِهِ وَيَتَأَثَّرُونَ بِآرَائِهِ
وَأفكارِهِ فَيَنْتَهجونَ سُلُوكَهُ وَيَسْلُكُونَ سَبِيلَهُ وَيَتَّبِعُونَ خُطَاهُ..
أقدمُهُ إلى كُلِّ الذينَ عَلِمُوا أَنَّ نَهْجَ سوريةِ الأسدِ غَايَتُهُمُ المُنشُودَةُ، لِأَنَّ القَائِدَ
بشارَ الأسدِ يُمَثِّلُ فيضَ رايةِ الحَقِّ عِنْدَمَا يَنْتَشِرُ العدم...
أقدمُهُ إلى كُلِّ الذينَ عَرَفُوا القَائِدَ بشارَ الأسدِ المُوَيَّدَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِرُوحِ مِنْهُ..

هشام

المقدمة

إنَّ الكتابةَ عن هذه المرحلةِ ضروريَّةٌ، لأنَّ لنا في التَّجربةِ السُّوريَّةِ مَعِينًا لا يَنْضُبُ مِنَ الخَبْرَةِ والعِبْرَةِ والأَمَلِ، فسورية بشار الأسد بِمِثَابَةِ المَنَارَةِ التي تَهْدِي فِي دِيَاجِيرِ الحَيَاةِ المِظْلَمَةِ، والتي تَبْعَثُ الثِّقَّةَ فِي نُفُوسِنَا، وَتَتَجَدَّدُ كُلَّمَا اعْتَرَاهَا شَيْءٌ مِنَ الوَهْنِ، فَتَتَغَلَّبُ عَلَى المِشْكَلاتِ وَأَهْوَالِهَا، مَهْمَا كَانَتْ هَذِهِ المِشْكَلاتِ عَنِيفَةً وَصَاخِبَةً، وَهَذِهِ المَنَارَةُ تَلْقُنُ دُرُوسًا قِيَمَةً عَنِ السُّمُوِّ إِلَى أَسْمَى مَرَاتِبِ المَجْدِ وَالشَّرَفِ، وَهِيَ الَّتِي تَجْعَلُ التَّجَارِبَ الأُخْرَى تَتَغَلَّبُ عَلَى القُنُوطِ وَالْيَأْسِ لِتَحْدُوَ حَدَّوَهَا وَتَنْتَهِجَ نَهْجَهَا، فَهِيَ بِمِثَابَةِ القِيَمِ الَّتِي تَنْتَطِعُ إِلَيْهَا بِشَوْقٍ وَلَهْفَةٍ.

تَجْرِبَةٌ هِيَ مِنَ أَسْمَى تَجَارِبِ البَشَرِيَّةِ وَأَنْبِلُهَا وَأَقْدَسِهَا وَأَفْضَلِهَا، لِأَنَّهَا جَمَعَتْ كَثِيرًا مِنَ الصِّفَاتِ القَوِيَّةِ وَالْمَزَايَا الشُّجَاعَةِ الَّتِي تَحَلَّتْ بِهَا تَجَارِبُ الإِنْسَانِيَّةِ العَظِيمَةِ، فَمِنْهَا مَنْ عَظُمَتْ فِي قُوَّتِهَا، وَمِنْهَا مَنْ تَفَرَّدَتْ بِعِلْمِهَا، وَمِنْهَا مَنْ أُشِيرَ إِلَيْهَا بِالْبَنَانِ فِي حِلْمِهَا، وَمِنْهَا مَنْ تَفَوَّقَتْ فِي شَجَاعَتِهَا، وَمِنْهَا مَنْ سَمَتْ بِتَفْكِيرِهَا وَصَفَاءِ بَصِيرَتِهَا، وَمِنْهَا مَنْ تَعَالَتْ بِعَدْلِهَا، وَمِنْهَا مَنْ تَسَامَتْ بِوَجْدَانِهَا وَعَمَقِ إِنْسَانِيَّتِهَا، وَمِنْهَا مَنْ اشْتَهَرَتْ بِثَوْرَتِهَا، وَالتَّجْرِبَةُ السُّوريَّةُ جَمَعَتْ كُلَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ فِي شَخْصِيَّتِهَا، لِتَنْشُدَهَا الأَجْيَالُ عِبْرَ العُصُورِ، فَهَلْ يُعْتَرُّ عَلَى تَجْرِبَةٍ مِثْلِهَا؟! .

ومهما حاول الكتابُ والمؤرِّخونَ ورجالُ الفكرِ أن يأتوننا بصورةً كاملةً عن صفاتِ التجربةِ السُّوريَّةِ تراهم عاجزينَ تمامَ العجزِ...! كيفَ لا؟! وقائدها الشَّاهدُ على العصرِ، مَنْ عندهُ عِلْمُ السِّياسةِ، وكنزُ أسرارِ الأصالةِ، والمُطَّلَعُ على عِبَرِ الأوَّلِينَ، والمَوْصُولُ بحبلِ الحقِّ المتينِ، فَعَدَا نداءَ الصَّيحةِ بالحقِّ، كالرَّاجفةِ لأعدائِهِ وكالصَّاعقةِ لخصومه. فهل يَسْتَطِيعُ كاتبٌ أن يُوَدِّيَ التَّجربةَ حقَّها؟ أو ينقلَ لنا صورةً كاملةً عنها؟! وإنْ عثرَ كاتبٌ في هذا الزَّمنِ على تجربةٍ كتجربةِ سورية بشار الأسد فأينَ هيَ؟!!

إنَّ تأليفَ هذا الكتابِ يعودُ إلى أسبابٍ كثيرةٍ أهمُّها:

١. التَّيْمُنُ بذكرِ تجربةِ سورية بشار الأسد وبنشرِ فضائلِها للنَّشءِ الجَدِيدِ الذي سوفَ ينهلُ من مَناهلِها شتَّى الحقائقِ، لذلك ركَّزْتُ انتباهي إلى هذه النَّاحيةِ وأكثرْتُ من التَّحليلِ وأقلَّلتُ من التَّعليقِ لِيُطَّلِعَ الطَّالِبُ على الحقائقِ ويعرفَ عظمةَ هذه التَّجربةِ.
٢. تزويدُ القُرَّاءِ في هذا الوقتِ بمعلوماتٍ عن أساسِ المرحلةِ وعمادِ المنطقةِ، فلا تُقارَنُ تجربةٌ بتجربةٍ سورية بشار الأسد، ولا يُساوَى بها أحدٌ أبداً. الحديثُ اليومَ عن تجربةِ سورية بشار الأسد تماماً كالحديثِ عن السُّراجِ الزَّاهِرِ، وأيُّ كاتبٍ يَسْتَطِيعُ أن يصفَها في المرحلةِ الأخيرةِ، والكلُّ يعلمُ أنَّ الأفعالَ عندها تعبيرٌ وتطبيقٌ للأقوالِ.

إنَّهَا كَالشَّمْسِ الطَّالِعَةِ الْمُجَلَّلَةِ بِنُورِهَا لِلْعَالَمِ، السَّاطِعَةِ فِي غِيَاهِبِ
الدُّجَى وَلَجَجِ الْبَحَارِ، فَهِيَ فِي الْأَفْقِ بَحِيثٌ لَا تَنَالُهَا الْأَيْدِي، وَهِيَ الْمَاءُ
العَذْبُ عَلَى الظَّمَا، وَالذَّالَّةُ عَلَى الْهُدَى، وَالْمُنْجِيَّةُ مِنَ الرَّدَى بِوُجُودِ قَائِدِهَا
الْأَنْبِيَاءِ الرَّفِيقِ وَالْوَالِدِ الشَّفِيقِ وَالْأَخِ الشَّقِيقِ، وَهِيَ الْمَخْصُوصَةُ بِالْحِكْمَةِ
وَالْمَوْسُومَةُ بِالْحِلْمِ، الْمُمَثَّلَةُ لِنِظَامِ الْعَمَلِ الصَّامِدِ وَعِزِّ الْعَرَبِ الشَّامِخِ. فَمَنْ ذَا
الَّذِي يَبْلُغُ مَعْرِفَةَ عَظَمَةِ التَّجْرِبَةِ السُّورِيَّةِ أَوْ يُمَكِّنُهُ اخْتِيَارُهَا؟

هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ! ضَلَّتِ الْعُقُولُ وَتَاهَتِ الْأَفْكَارُ وَحَارَتِ الْأَلْبَابُ
عَنْ وَصْفِ مَا حَدَثَ بِإِخْرَاجِ سُورِيَّةٍ مِنَ الْأَزْمَةِ الْأَخِيرَةِ.

فَالتَّجْرِبَةُ السُّورِيَّةُ نَامِيَةٌ الْعِلْمِ وَكَامِلَةٌ الْحِلْمِ، مُضْطَلَعَةٌ بِالْقِيَادَةِ
وَعَامِلَةٌ بِالسِّيَاسَةِ. إِنَّهَا لَوْلُؤَةٌ مِمَّا زَانُوا بِهِ جَيِّدَ الدَّهْرِ مِنَ الْبَيَانِ عَنْ
دَوْرِهَا، وَلَمْ نَضَعْ هَذَا الْكِتَابَ الْوَجِيزَ لِلْكَلامِ عَنِ التَّارِيخِ فَقَطْ بَلْ لِنَسْتَوْفِي
النَّقْلَ لِتِلْكَ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي أَفْصَحُوا بِهَا عَنِ الْمَرْحَلَةِ وَصَرَّحُوا بِهَا عَنِ شَأْنِ
الْحِمَايَةِ، إِنَّهَا اللَّوْلُؤَةُ الْغَالِيَةُ الْجَدِيدَةُ بِالشَّرْحِ وَالْحَقِيقَةُ بِالْإِعْجَابِ.

وَالْغَرَضُ الْأَقْصَى - كَمَا يَرْمِزُ إِلَيْهِ عِنْوَانُ الْكِتَابِ - هُوَ الْبَيِّنَةُ فِي
الرَّعَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ لِتَجْرِبَةِ سُورِيَّةِ بَشَارِ الْأَسَدِ. وَمَا كَانَ الْخَوْضُ مِنْهَا فِي
هَذَا الْبَحْرِ الزَّآخِرِ إِلَّا عَلَى قَدَرِ مَا نُحِسُّهُ وَتَصِلُ إِلَيْهِ مَدَارِكُنَا، وَتَحْكُمُ
بِهِ عُقُولُنَا، وَتَفْهَمُهُ مِنْ الْأَحْدَاثِ الْأَخِيرَةِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا.

وكيف نستطيع أن نُحدِّد التجربةَ حقًّا، وما دُكرَ عنها إلاَّ القليل من صفاتها؟ وما هذا القدرُ مما دُكرَ من شؤونِ الحمايةِ الإلهيةِ لها إلاَّ برهانٌ على ارتفاعِ تلكِ المنارةِ التي أفصحتُ عن بعضِ شمائلِ التجربةِ وصفاتِ الحمايةِ.

وما معرفتناُ بها إلاَّ على قدرِ ما نلمسهُ من آثارها، ونقرأهُ من كلامِ قائدها المُستمدِّ فراتِ علمه من منبعِ العقلِ الفعَّالِ، المُستمدِّ من علمِ العلامِ جلَّ شأنه.

ولم أقتصرُ على الإشارةِ إلى الكلامِ فقط، إنَّما حاولتُ الوصولَ إلى غورِ ذلكِ الكلامِ عن طريقِ تحريرِ هذا الكتابِ في تجربةِ سوريةِ بشارِ الأسدِ. وإني لعلِّي علمٌ بأنَّ هذا البحرَ لا يبلغُ الفكرُ قعره، ولا يصلُ الفهمُ إلى شاطئه، ولو عرفنا قدرَ هذه التجربةِ لعرفنا حقيقتها ومبلغَ صفاتها، ولوصلنا إلى معرفةٍ من جعلها بتلكِ العظمةِ.

والله ولي التوفيق

المؤلف...

الفصل الأول

قيادة الصمود

حينَ يكونُ الحديثُ عن سورية بشار الأسد تغدو المعاني صعبةَ الإدراكِ بعيدةَ المنالِ، كيفَ لا؟ فَمَنْ ذَا يَنالُ مَعْرِفَتَها؟ أو يَحققُ بيانَ درجَتَها؟ أو يَشهدُ كرامَتَها، أو يُدركُ مَنزِلَتَها؟ فقد حارتِ الألبابُ والعقولُ في أوصافِها، وتاهتِ الأفهامُ في فِهمِ سياستِها.

إنَّها سياسةٌ أسمى وأرفعُ مِنْ أَنْ تَنالَ آمالُ أهلِ المعرفةِ أطرافَ كبرياءِ جلالِها وجمالِها، وأنْ تَبلُغَ خَطراتُ معرفةِ أهلِ القلوبِ ذُرورةَ كَمالِها، لأنَّ لها مقامًا روحانيًا شامخًا في السَّيرِ المُحِقِّ، يفوقُ قدرةَ استيعابِ المراقِبِ لناحيةِ الحمايةِ العمليَّةِ لها، فهي حمايةٌ أسمى مِنْ عُقولِ ذَوي الألبابِ، وأعظمُ مِنْ شهودِ أصحابِ الأفكارِ.

لَمْ يقفْ أحدٌ على حَقائِقِها وأسرارِها، إذْ أنْ أرقى ما يصلُ إليه الذي يَصِفُ نبذةً مِنْ مقامِها هُوَ الكلامُ، لأنَّ لها مقامًا شامخًا مِنَ التَّأييدِ.

وكم عاش الشعب السوري يرى سورية الأسد تهدم المخططات الباطلة، فهي لا تُغيّر مجرى التاريخ فقط، وإنما تنسخ تاريخاً سلبياً لتصنع تاريخاً عظيماً، فالعظماء لا يأسفون على الماضي المهْدوم، ولا يحذرون من المستقبل المجهول، وقد أشار السيد الرئيس بشار الأسد إلى ذلك في خطابه على مدرج جامعة دمشق بتاريخ ٢٢ حزيران ٢٠١١ بقوله: (فخيارنا الوحيد هو التطلع إلى المستقبل، وهذا الخيار نمتلكه عندما نقرر أن نصنع المستقبل بدلاً من أن تصنعه الأحداث).

لقد وفرت سورية الأسد الأمان لشعبها بشكل غير متوقع من قبل الخصوم، ولم تُبارح ابتسامة الرضا تُغورها وهي تعاني أحلك الأزمات وتتنفّس أقوى الضغوط.

فمنذ فجر التاريخ، والإنسان يُحاول الرقيّ إلى درجة الكمال، ومن هذا المنطلق حاول الإنسان إيجاد السبل والوسائل لنيل ذلك، إلى أن أشرقت شمس الحكمة فجالت مرحلة الفوضى.

فسعادة الشعوب وليدة تُشبع أشواقهم ورغائبهم بصورة متناسقة، فإن كانت السعادة هي نجاح الإنسان حسب مقاييسه، والشقاء هو فشله حسب مقاييسه، فالسعادة والشقاء ينبعان من اقتناع الإنسان بنجاحه أو فشله، ولا يُستوردان من خارجه.

وَقَادَةُ الصُّمُودِ هُمُ الَّذِينَ أَقْنَعُوا الشُّعُوبَ بِنَجَاحِهِمْ فِي جَمِيعِ
 الْحَالَاتِ نَتِيجَةَ اتِّصَالِهِمْ بِالْحَقِّ، وَهُمْ يُعْبَرُونَ عَنِ اقْتِنَاعِهِمْ هَذَا أَمَامَ
 أَعْدَائِهِمْ حَتَّى يُفْهَمُوهُمْ أَنَّ جُهُودَهُمْ لَتَعْكِيرِ الْجَوِّ ضِدَّهُمْ تَذَهَبُ هَدْرًا.
 قَادَةُ الصُّمُودِ مُقْتَنِعُونَ بِأَنَّهُمْ مُنْتَصِرُونَ فِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ، وَبِأَنَّهُمْ
 كَسَبُوا الْفَوْزَ، فَسَعِدُوا دُونَ أَنْ تُؤَثَّرَ عَلَى سَعَادَتِهِمْ مُجْرِيَاتُ الْأَحْدَاثِ
 حَسَبَ الْمَقَائِيسِ الطَّبِيعِيَّةِ، إِذْ تَشَعَّبَتْ بِصَائِرُهُمْ بِنُورِ الْحَقِّ الْمَشْرِقِ فِي
 ضَمَائِرِهِمْ، وَلَمْ يَنْبَغِ مِنْهَا ظِلَامٌ يُلْقِي عَلَى وُجُوهِهِمْ ظِلًّا كَثِيبًا.
 وَلَا يَرْتَابُ الْعَقْلُ فِي أَنَّهُمْ مِنْ كِمَالِ الْمِنَّةِ لِتَكُونَ النُّعْمَةُ أَسْبَغَ
 وَالصِّفَةُ أَفْضَلَ وَالصَّبْغَةُ أَحْسَنَ، كَمَا لَا يَشْكُ فِي أَنَّهُمْ الْأَسْبَغُ فِي النُّعْمَةِ
 وَالْأَكْمَلُ فِي الصَّنْعَةِ وَالْأَفْضَلُ فِي الصِّفَةِ.
 وَلَا يَشْكُ الْعَقْلُ فِي أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ قَادَةَ الصُّمُودِ عَلَى أَكْمَلِ صِنْعَةٍ
 وَأَنْفُسِ صِفَةٍ، كَمَا لَا يَرْتَابُ فِي أَنَّهُ جَعَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْفَضْلِ الْأَسْمَى
 بِحَيْثُ لَا مَانِعَ يَحْجُزُ دُونَهُمْ وَلَا حَائِلَ يَقْفُ أَمَامَهُمْ.
 فَقَادَةُ الصُّمُودِ هُمْ فِي مُسْتَوَى أَعْلَى لَا يُشَارِكُهُمْ فِيهِ غَيْرُهُمْ،
 وَتَجْرِبَةُ التَّارِيخِ عِنْدَمَا تَضَعُ أَمَامَ الْعَيْنِ أَبْعَادَ تَأْثِيرِهِمْ تُبْرِزُ أَنَّ تَأْثِيرَهُمْ
 أَشْمَلُ وَأَبْعَدُ مِنْ تَأْثِيرِ غَيْرِهِمْ، فَتَأْثِيرُهُمْ لَيْسَ دَلِيلَ الْمَوْهَبَةِ الْبَشَرِيَّةِ
 فَقَطْ، بَلْ هُوَ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ دَلِيلَ الرُّوحَانِيَّةِ الْعَالِيَةِ.

فوجودُ قَادَةِ الصُّمُودِ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي أَسْبَغَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الشُّعُوبِ، لَأَنَّ وُجُودَهُمْ لَطْفٌ يُوصِلُ إِلَى جَمِيعِ الْحِكَمِ الَّتِي بَنَى عَلَيْهَا الْحَكِيمُ صَنَائِعَهُ، فَهُمْ بِحِكْمَتِهِمْ يُكُونُونَ قُدْرَتَهُمْ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، وَبَيْنَاتِهِمْ عَلَى النَّحْوِ الْأَتَمِّ، وَبِنِيَانِهِمْ عَلَى الْأَمْتِنِ الْأَقْوَى.

وقائدُ الصُّمُودِ فِي سُورِيَةِ بَشَارِ الْأَسَدِ عِنْدَهُ زِمَامُ الْأُمُورِ وَنِظَامُ الشُّعُوبِ وَصَلَاحُهُمْ وَعِزُّهُمْ، لِأَنَّهُ أَسُّ الْحَقِّ النَّامِيِّ وَفَرَعُهُ السَّامِيُّ. فَالْتَّجْرِبَةُ السُّورِيَّةُ هِيَ الَّتِي تَحَلَّتْ بِجَمِيلِ الْفَضَائِلِ، وَهِيَ الَّتِي تَسْتَطِيعُ بِتِلْكَ الْمَلَكَةِ الْقُدْسِيَّةِ أَنْ تَغْتَنِمَ كُلَّ فَضِيلَةٍ، وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّهَا بِأَفْضَلِ السَّمَاتِ وَأَشْرَفِ الصِّفَاتِ صَاحِبَةُ الْمَنْزِلَةِ الْعُلْيَا وَالصِّفَةِ الْفَضْلَى، لِأَنَّ الْحَكِيمَ يَخْتَارُ الْأَكْمَلَ، وَيُرِيدُ الْأَفْضَلَ لِلشُّعُوبِ الصَّامِدَةِ.

فَلَمْ يَكُنْ قَادَةَ الصُّمُودِ أَفْرَادًا عَادِيَيْنِ، ثُمَّ نَصَّبَهُمُ الْحَقُّ اعْتِبَاطًا، وَلَمْ يَنْتَزِعُوا مَكَانَهُمْ عُنُوتَهُ كَمَا يَنْتَصُرُ أَوْ يُصِرُّ الْبَعْضُ، لِأَنَّ اللَّهَ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ صُنْعُهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَحْطَمَ مَقَائِيْسَهُ فِي اخْتِيَارِهِ الْقَادَةَ فِي تَمَثِيلِ الْحَقِّ؟! فَهُوَ الَّذِي جَعَلَهُمْ صَخُورَ قِمَّةٍ مِنْ خِلَالِ تَكَرُّرِهِمْ بِتَجَارِبِهِمْ، فَاصْطَفَاهُمْ لِرَفْعِ الْأُمُورِ مِنْ أَدْنَى الْمَسْتَوِيَاتِ إِلَى أَعْلَى الْمَسْتَوِيَاتِ بِسُرْعَةِ الْخِيَالِ؟!!

إِنَّ اللَّهَ فَضَّ نِظَامَ التَّدْرِجِ عَلَى جَمِيعِ الْأَعْمَالِ الْكُونِيَّةِ الْبَسِيطَةِ
مِنْهَا وَالْمُعَقَّدَةِ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ خَرَقَ هَذَا النِّظَامَ فِي هَذَا الْمَجَالِ
الْحَسَّاسِ؛ مَجَالِ الصَّرَاعِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ؟!

إِنَّ تَنْصِيبَ قَادَةِ الصُّمُودِ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْأُمُورِ اللَّاعْتِبَارِيَّةِ الَّتِي
يُمْكِنُ خَرْقُهَا، وَإِنَّمَا كَانَ تَنْصِيبُهُمْ جِزْءًا مِنْ نِظَامِ الْكُونِ الْعَامِ لِلْحَقِّ
الَّذِي لَمْ يَسْقُطْ وَلَنْ يَسْقُطَ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْهَارَ أَبَدًا قَيْدَ شَعْرَةٍ، فَنِظَامُ
التَّدْرِجِ الْكُونِيِّ وَنِظَامُ الْاسْتِعْدَادِ الذَّاتِيِّ الْكُونِيِّ مَفْرُوضَانِ فِيهِمْ سَلْفًا.

إِنَّهَا سُورِيَّةُ بَشَارِ الْأَسَدِ الَّتِي تَجْمَعُ الْمَوَادَّ الْقِيَادِيَّةَ فِي الْأَرْضِ،
وَتَسْتَقْبِلُ الْحِمَايَةَ مِنَ السَّمَاءِ لِتَحْوِيلِهَا إِلَى حِمَايَةٍ عَظِيمَةٍ تَمُوجُ بِكُلِّ
الْأَبْعَادِ بِصُمُودِهَا مِنْ خِلَالِ الْقَائِدِ صَاحِبِ الْاسْتِعْدَادِ الْكَامِلِ لِمِثْلِ هَذِهِ
الْعَمَلِيَّةِ الضَّخْمَةِ؟!

كَمَا أَنَّ قَادَةَ الصُّمُودِ هُمْ أَصْحَابُ الْمَعَادِلَةِ الْمُسْتَحِيلَةِ بِوُجُودِ
الْاسْتِعْدَادِ الذَّاتِيِّ، لِذَلِكَ فَهَمْ مَتَمَيِّزُونَ كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ سَيْرَتُهُمْ الْوَاقِعِيَّةُ.
وَمِنْ هُنَا يَتَّضِحُ أَنَّ تَنْصِيبَهُمْ هُوَ جَعْلُ اعْتِبَارِيٍّ كَاشِفٍ عَنْ
الْجَعْلِ التَّكْوِينِيِّ. وَمِمَّا ذَكَرْنَا فِي الْأَمْرِ يَتَّضِحُ أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْجَعْلِ لَا
يَكُونُ بِيَدِ الْإِنْسَانِ، بَلِ الْحَقُّ يَجْعَلُهُ حَيْثُ يَشَاءُ.

ولندققِ النَّظَرَ في تكاملِ الرُّوحِ والجسدِ عندهم، فقدَ كَرَّمَ قَادَةَ الصُّمُودِ بالقوى العَقْلِيَّةِ والعملِيَّةِ المُخْتَلَفَةِ التي تَضمُنُ أَفْضَلَ السُّبُلِ لِلصُّعُودِ إلى الكَمالاتِ العَالِيَةِ، وعلى رَأْسِ القوى العَمَلِيَّةِ والإِدْرَاكِيَّةِ يَقِفُ العَقْلُ الفَعَّالُ ليقوَدَ هذهِ القوى الخَيْرَةَ.

إِنَّ مِنَ الكَمالاتِ عِنْدَ قَادَةِ الصُّمُودِ الارتباطَ باللامحدودِ على كُلِّ عَالَمِ الشَّهَادَةِ، وهذا لا يعني الإحاطَةَ المطلقةَ، ولكنَّ الحِركةَ نحوَ أَيْةٍ غَايَةِ كَمَالِيَّةٍ يُشْتَرَطُ فيها أمران: الأولُ أن يكونَ الهدفُ ممكناً وليسَ بممْتَنَعٍ ولا محالٍ، والثاني أن يكونَ الكَمالُ المطلوبُ غيرَ حاصلٍ فعلاً. وينتجُ من ذلكَ أَنَّ الارتباطَ بالحقِّ يجبُ أن يكونَ بواسطةِ رابطةٍ، فالارتباطُ يكونُ بواسطةِ، وإنْ لَمْ نَفتَرضُ ذلكَ فَإِنَّهُ يعني انقطاعَ الاتِّصالِ معَ الحقِّ.

ولذلكَ فَإِنَّ الرِّابِطَ يجبُ أن يكونَ مِنَ الكَمالِ الرُّوحِيِّ بِمَكَانٍ حَتَّى يَتَحَرَّكَ وَيُنْبَعِثَ انبِعَاثًا صَحيحًا سَليماً، وواضحٌ مِنَ الحَدِيثِ أَنَّ الصَّرَاعَ هو صِراعٌ إجماليٌّ بِحَاجةٍ إلى روابِطٍ تَفصِيليَّةٍ تَقومُ بِها الواسِطَةُ. فسوريةُ الأَسَدِ لها مَظْهَرٌ تَتَحَلَّى بِهِ لِتَتكاملَ وتكونَ مرتبِطَةً بِالْحَقِّ. وهي عِنْدَما تَتكاملُ لا بُدَّ أَنْ تَجعَلَ لها غَايَةً تَريدُ الوِصُولَ إِلَيْهَا، وهذا أمرٌ ثابتٌ في جَمِيعِ قَوَانِينِ الصَّرَاعِ.

ونمضي بتجربة سورية بشار الأسد إلى أبعد من ذلك، حيث تُعتبر الحماية الإلهية لها شرطاً أساسياً، فمستوى صمودها مستوى عال لا يرتفع إليه الفرد العادي مهما نشط بالتحليق، لأن الفراغ لا يمكن أن ينقل التيار من مصدر إلى مصب، والصخرة القمّة لا تقفز من البطحاء بصلابتها الذاتية فحسب.

والتجربة السورية نابعة من الأصفى والأنزه، لم تلوثها التيارات الباطلة. والحديث عن هذه النقطة المركزة يوجه الأذهان إلى أن وجودها ليس شيئاً عبثياً في العالم، فهي من القمم الطامحة في سلسلة صراعات الحياة الإنسانية إن صح التعبير، وهي الأكثر استعداداً للتحمل، حتى تكون سيرتها العملية صافية لا يشوبها خلل أو كدر.

فمن المستحيل أن تكره سورية الأسد أزمة من الأزمات، ولا يمكن أن تكره الصراع، حتى لا يمكن أن تنفر منه، لأن الصراع ظاهرة كونية قد انسجمت معها سورية بشار الأسد سلفاً في تكوينها بتكليف رباني لقائدها، ومن هنا كان قول القائد بشار الأسد في خطابه أمام مجلس الشعب بتاريخ ٣٠ آذار ٢٠١١: (الأزمات هي حالة إيجابية إن استطعنا أن نسيطر عليها وأن نخرج منها رابحين).

وللتأكد من انسجامها المطلق مع جميع الأزمات، تشعر بأنها في مواقع التحدي دائماً، وهذا ما يجعلها جاهزة للانسجام مع تحدي الصعوبات.

وكل ما نقوله عن قادة الصمود سلسلة واحدة وإن اختلفوا في تواجدهم المكاني، فإنهم لم يختلفوا في شرائط الجعل التكويني الذي يتلخص بما يأتي:

١. الاستعداد الذاتي باستكمال القيم الرفيعة والذراة الروحية والجسدية.

٢. الرعاية الإلهية.

٣. الاختيار الإلهي.

ف قادة الصمود كانوا في مستوى الحماية العليا قبل نُزولها عليهم، ثم مدَّهم الحقَّ وحولهم تلك الصفة، فاستحقوها بكفاءة وقادوا صراع البشرية، وأمنوا كلَّ حاجاتها بشكل صحيح. من هنا فإنَّ قائد الصمود في سورية بشار الأسد قام بقيادة الصراع بشكلٍ نوعيٍّ، لأنَّه يكتبُ التاريخَ بنوعيّة العمل الذي يُؤدِّيهِ، والذي عبَّر عنه القائد بشار الأسد بقوله في خطابه أمام مجلس الشعب بتاريخ ٣٠ آذار ٢٠١١: (هل تقودنا الموجهة أم نقود الموجهة؟... نحن فاعلين.. نحن لسنا مُنفعلين).

وحيثُ كانَ قادةُ الصُّمُودِ همَ الأكفأُ بتوليهِمُ الصِّراعَ، كانَ مِنَ
الطَّبِيعِيِّ والمحتومِ أنَ تنضوي الشُّعوبُ المُحِقَّةُ تحتَ لِوائِهِمُ طالما أنَّ
الواقعَ لا يُغنيهِمُ عن قيادَتِهِمُ.

الفصل الثاني

قرار الصمود

سمات قرار الصمود:

١. الوعي الجماهيري:

قيمة هذا القرار كما ذكرنا ليست فقط في محتواه الفكري والسياسي، وإنما في انبثاقه عن عمق الوجدان الشعبي، ومن داخل آلام الأمة وآمالها وعذابها وتضحياتها وطموحاتها وحضارتها ورسالتها.

ولهذا السبب بالذات تبنى جمهور الشارع العربي قرار الصمود والمقاومة بوعي وبصيرة وبكامل أبعاده الفكرية والسياسية.

وما حدث أن هذا الوعي السياسي في قرار سورية الأسد انتقل إلى كل مستويات الجمهور، وتبنت الأمة هذا الخط بوعي وبصيرة وبكامل أبعاده وبكل أصالته، فأصبحت الشعوب تفهم شعار القائد فهماً سياسياً واضحاً، وتعرف عن خبرة وبصيرة خطر وضرر الارتقاء في

أحضان مشاريع الآخرين الاستسلامية، وتدرك قيمة الاستقلال الفكري والسياسي السوري.

وهذه المعرفة الواعية والرؤية الصافية لمسألة القرار الصامد كانت لها آثار إيجابية كبيرة في فشل المحاولات المعادية، وقد عبّر السيد الرئيس في حوارهِ التلفزيوني بتاريخ ٢٣ آب ٢٠١١ عن ذلك بقوله: (مَنْ حَمَى الْوَطْنَ هُوَ وَعِي الشَّعْبِ السُّورِيِّ وَهَذَا مَا نَطْمِئُنُّ إِلَيْهِ).

وقد تبنّى القرار الدفاع عن المقاومة التي آمنَ بها، وتحملَ مسؤوليةَ هذا الدفاع بصدق.

فقرار سورية السياسي الصامد يستوعب الشعب ويملكه، وهذا من نتائج وآثار وجود القائد الخالد في وجدان شعبنا ووعيه.

٢. إحباط المؤامرات:

هذا الحضور لقرار سورية بشار الأسد الصامد كان من أهم الأسباب في فشل المؤامرات الداخلية والخارجية التي كان يُحيكها الأعداء لتطويقها ومصادرتها، وكان من أهم الأسباب في فرز المشاريع. ورغم أنهم حاولوا المستحيل في الكيد والتخطيط للمؤامرات، واستعملت في ذلك كل القدرات بنفوذها وسلطانها المالي والسياسي

والعسكريّ، إلا أنّ الحضورَ الواعي للشَّعبِ في السَّاحةِ السِّياسيةِ السُّوريَّةِ والمراقبةَ الواعيةَ أَحَبَطَتْ كُلَّ هذهِ المحاولاتِ وأفشَلَتْهَا، لأنَّها لم تكن إلا كما عبَّرَ عنها السيدُ الرئيسُ بشارُ الأسدُ بقوله في خطابه أمام مجلس الشعب بتاريخ ٣٠ آذار ٢٠١١: (امتحانٌ لوحدتِنا وغيريتِنا.. امتحانٌ تنشأُ الظروفُ أنْ يتكرَّرَ كلَّ حينٍ بفعلِ المؤامراتِ المتَّصلةِ على هذا الوطنِ، وتنشأُ إرادتنا وتكاتفنا وإرادةُ الله أنْ ننجحَ في مواجهتهِ في كلِّ مرَّةٍ نجاحاً باهراً يزيدنا قوَّةً ومنعةً)، ولاشكَّ أنَّ هذا بفضلِ عمقِ قرارِ سوريَّةِ الأسدِ.

ونحنُ جميعاً نذكرُ الادِّعاءاتِ التي ردَّ عليها القائدُ بشارُ الأسدُ بقوله: (مَنْ يُرَوِّجُ هذهِ الإشاعاتِ هُوَ مَنْ يَمْتَلِكُ الأَقمارَ الصَّناعيةَ، ولديه الكثيرُ من المخابراتِ المتواجدةِ ربَّما هناكِ والأصدقاءِ، ولا بُدَّ أنَّهُم قادرونَ على إعطاءِ الدَّليلِ، فإنَّ أرسلوا الدَّليلَ سنعرضُه ولكن هذا الكلامُ مجردُ إشاعاتٍ).

٣. الموقف:

القرار السوري الصّامدُ هو الذي يصنعُ الموقفَ، فقد كانَ وضوحُ القرارِ والالتزامُ به من قِبَلِ الجماهيرِ مصدرًا لكثيرٍ من المواقفِ السِّياسِيَّةِ الصَّلبةِ. فكلُّ مشروعٍ شعاراتُهُ، ولكنَّ عندما تَقترنُ المقاومةُ والدَّولةُ الصَّامدةُ بقرارٍ حركيٍّ واضحٍ مفهومٍ ومُلتزمٍ تَتحوَّلُ هذه الشُّعاراتُ إلى مواقفَ حاسمةٍ.

وقد حدثَ مثلُ هذا في الآونةِ الأخيرةِ، فارتفعتُ خلالَ الفترةِ الماضيةِ مجموعةٌ من الشُّعاراتِ، وتحوَّلتْ بفضلِ الإيمانِ والالتزامِ إلى مواقفَ سياسيَّةٍ رائعةٍ.

وليس من عجبٍ أنَّ قرارَ القيادةِ السوريَّةِ الحكيمَةَ وقفَ عندَ شعاراتِها وقفةً صامدةً، وحوَّلَ هذه الشُّعاراتِ إلى مواقفَ سياسيَّةِ صلبةٍ، ووقفَ عندَ هذه المواقفِ، وتحمَّلَ مسؤوليَّةَ الموقفِ، وليسَ من شكٍّ أنَّ قيمةَ العملِ السِّياسيِّ بالموقفِ وليسَ بالشُّعارِ، وما لم يَتحوَّلِ الشُّعارُ إلى موقفٍ لا يستطيعُ أن يَحققَ أهدافَهُ.

ووجودُ قرارٍ سياسيٍّ صامدٍ سليمٍ وواضحٍ، والالتزامُ هذا القرارِ من قِبَلِ الشعبِ، من أقوى العواملِ في صناعةِ المواقفِ السِّياسِيَّةِ.

٤. المقاومة:

لابدّ لنا في هذه العُجالة من أن نشيرَ إلى مقارنةٍ سياسيّةٍ بين قرارِ القائدِ الأسدِ والقراراتِ الأخرى، إن صحّت تسميتها بالقرارات، وإننا نريدُ بالمقارنةِ الموقفَ السياسيَّ المبدئيَّ فقط، بغضِّ النظرِ عن محتوى مواقفهم ومبادئهم وقراراتهم.

فقد كانت تُشكّلُ في الغالبِ اتّجاهًا اعتداليًا انتهازيًا مقنّعًا بقناعٍ مُتبنّى من قِبَلِ جهاتٍ تملكهم حساباتٌ سياسيّةٌ خاطئةٌ أكثرَ من أيِّ شيءٍ آخر. كما أنّها تُمثّلُ نحوًا من الضعفِ السياسيِّ، ولذلك سرعانَ ما كشفَ قرارُ سوريةِ الأسدِ بالمبدئيّةِ السياسيّةِ الصّارمةِ الأوراقِ السياسيّةِ لهذهِ الدول.

وقد تعجّبَ البعضُ أنّ قرارَ سوريةِ الأسدِ لم يتزحزحْ عن مواقفه ومواقفه السياسيّةِ لا من قِبَلِ ولا من بعد، والذي يتتبعُ المواقفَ السياسيّةَ لقرارِ سوريةِ الأسدِ لا يجدُ تغييرًا في مواقفه ومواقفه طوالَ هذهِ الفترة، بينما من الملحوظِ أنّ الدُولَ الأخرى تتخلّى عن كثيرٍ من مواقفها السياسيّةِ.

إنّ الميزةَ البارزةَ لقرارِ سوريةِ الأسدِ هي الثباتُ السياسيُّ الصّامدُ على مواقفه المبدئيّةِ تجاهَ كلِّ القضايا السياسيّةِ، فلم ولن يحدثَ تغييرٌ

في الموقف تجاه القضايا الأساسية. وهذه من خصائص الخط البارزة، وإذا وضعنا هذه الخصيصة السياسية بإزاء المواقف لكثير من الدول الأخرى نعرف عمق مبدئيته.

٥. الاستمرار:

مسألة الاستمرار بالنسبة إلى الصمود في قرار سورية الأسد مسألة أساسية ومصيرية، فحياة الصمود والمقاومة بنموها، ونموها باستمرارها، وإذا توقفت استمرار الصمود والمقاومة توقفت نموها. ومهمتنا الأساسية في هذا المجال هو إيجاد وعي سياسي. فعناصر الشعب في سورية أدوا بصدق وإخلاص مسؤوليتهم تجاه هذه المسألة، وصدقوا ما عاهدوا القائد عليه.

وليس هنالك من حدود إقليمية للوعي والقرار، وإذا كانت الدولة تتحدد ضمن حدود جغرافية فليس للصمود والوعي حدود قومية أو جغرافية. ولكننا لا نسمح لأحد أن يحول بيننا وبين أداء رسالتنا إلى الشعوب، فإذا اصطدمنا بحاجز، وعجزنا أن نرفعه بالتي هي أحسن، لم نتردد لحظة واحدة أن نواجه الكيد بمثله لنفتح الطريق، ونقول كلمة الحق التي ثقأ.

معالم القرار الصامد:

قلنا أن قرار سورية الأسد لا يزيد على أن يكون تسميةً جديدةً في حياتنا السياسية المعاصرة، وإلا فإن مسألة القرار قديمةً اسمًا ومحتوىً.

فمن ناحية الاسم يدعى القرار القويم، وأما من ناحية المحتوى فيأتي قرار سورية الأسد امتدادًا لدعوة الحق على الصراط المستقيم، ورسالته وطريقته ودعوته على امتداد التاريخ المعاصر تشكل الامتداد الطبيعي لهذا القرار العريق العميق في التاريخ.

وإلى جانب الارتباط الإيماني بالقرار الصامد هناك نوع آخر من الارتباط، وهو الارتباط الواعي، ويتلخص في فهمه وإدراكه بصورة واعية وعقلانية.

وهذا اللون من الارتباط يحتاج إلى عمل فكري تثقيفي، وجهد علمي من قبل العاملين في سبيل الحق، لتقديم قرار الصمود بصورة عملية ومقبولة إلى الجيل الصاعد، وكذلك العمل لإسقاط وإحباط الخطوط المعادية الفكرية والسياسية الأخرى ضمن جهود عالية.

وعلى العاملين في سبيل ذلك أن يستفيدوا من كل الفرص لتقديم هذا الغذاء العقلي إلى الجيل القادم الذي تُنَاطُ به مهمة المحافظة على القرار السوري الصامد وسلامته ونقاوته.

إن مسألة الارتباط والانشداد إلى القرار السوري الصامد مسألة في غاية الأهمية، فخصيصة سورية وسلامتها واستقامتها وصلابة مواقفها مرتبطة بالتزامها بصراط الصمود المستقيم، والارتباط بالقرار يكون على شكل الارتباط الواعي العقلاني.

وهناك حقل خصب آخر، من حقول الارتباط المحق للقرار، وهو حقل العمل، ليتحول بصورة مباشرة إلى إيمان ووعي وبصيرة ويقين وثبات. وكلما ازداد العمل والتحرك على القرار ارتفعت درجة التضحية على هذا الصراط وازداد الانشداد والالتحام حبا له ويقينا به، لتتحول الحركة إلى يقين في العقل وثبات في العمل.

وهذا القانون يجري بصورة أعمق في صلة الشعب بالقرار، فكلما ازداد علمه وتحركه للدفاع عن القرار الصامد ازداد إيمانا به وبصيرة وهدى، وازداد تعلقا به وثباتا عليه، فتحول هذا الجهد إلى يقين وثبات.

وليسَ من شكٍّ أنَّه يملكُ القدرةَ الكافيةَ لإعدادِ هذا الجيلِ بهذا
المستوى الروحيِّ والعقليِّ والإيمانيِّ الرفيعِ.
وهناكُ ميزةٌ أخرى لهذا القرارِ هي القيمةُ العقليةُ الروحيةُ، لأنَّه
يتمثَّلُ بوعيِ الإنسانِ في خطِّ التوازنِ، ومدى انسجامِهِ مع المصلحةِ
العُلَيَّا في تحريكِ الواقعِ العمليِّ، إلى جانبِ الوعيِ الدقيقِ للقراراتِ
العمليةِ التي تُحرِّكُ ذلكَ في الاتجاهِ السليمِ، وهو ما يُعبِّرُ عنه بوضعِ
الشيءِ في موضِعِهِ.

ولا بُدَّ لكلِّ قرارٍ وطريقٍ منَّ معالمٍ يهتدي بها السَّائرونَ، فَمَا
هي معالمُ هذا القرارِ؟ أينَ نشأَ هذا القرارُ؟ وفي أيَّةِ مدرسةٍ تخرَّجَ؟ وعلى
يدٍ منَّ نشأَ؟ وكيفَ قطعَ هذه المراحلَ والأشواطَ البعيدةَ، خلالَ هذه
الفترةِ القصيرةِ؟

تلكَ الأسئلةُ سيقفُ أمامها الجيلُ الذي لم يَألفْ هذه القفزاتِ
الكُبرى.

والجوابُ: إنَّ المواجهةَ الحادةَ للأعداءِ وامتداداتهم في المنطقةِ
جعلَ العملَ الحقيقيَّ الذي قامَ به القائدُ الأسدُ خلالَ هذه الفترةِ
بجهدِهِ يرفعُ سوريَّةَ إلى هذا المستوى الرفيعِ من الإخلاصِ والثباتِ،
وهذا ما شدَّ الشعوبَ بنجاحِ هذه الصُّورةِ المحكَّمةِ المصيريةِ.

ولا بُدَّ أَنْ نَقُولَ فِي خَتَامِ هَذِهِ الْجَوْلَةِ السَّرِيعَةِ عَلَى قَرَارِ سُورِيَةِ
 الْأَسَدِ: إِنَّ مَعْرِفَةَ الْمَعَالِمِ وَحَدَّهَا لَا تَكْفِي، فَلَا بُدَّ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَعْرِفَةِ
 الْمَعَالِمِ مَعْرِفَةَ الْمَصَادِرِ. فَمَعْرِفَةُ مَصَادِرِ الْقَرَارِ الصَّامِدِ لَا تَكُونُ مِنْ غَيْرِ
 نَبْعِهِ مَهْمَا طَالَ بِهِ الْأَمْدُ. وَأَكْثَرُ الْإِنْحِرَافِ فِي التَّارِيخِ عَنِ الصَّرَاطِ
 الْمُسْتَقِيمِ نَبَعَ مِنَ الْجَهْلِ بِمَعَالِمِ هَذَا الْقَرَارِ الصَّامِدِ.
 وَسَيَتَحَدَّثُ التَّارِيخُ عَنِ تَفَاصِيلِ هَذَا الْقَرَارِ، وَعَنْ عُنَاصِرِ قُوَّتِهِ
 وَحَرَكَتِهِ وَسَيَطْرَتِهِ، وَلَا سِيَّمَا أَنَّهُ الَّذِي يَهْدِي الشَّعْبَ إِلَى الْحَقِّ بِكَافَةِ
 الْوَسَائِلِ، وَيَفْتَحُ عَقُولَهُمْ عَلَى التَّفَكِيرِ فِيمَا يُصْلِحُ أَمْرَهُمْ وَيَسُدُّ
 خَطَوَاتِهِمْ.

الفصل الثالث

الصمود الأكبر

إنَّ عظمةَ إنجازِ سورِيَّةِ بشارِ الأسدِ تكمنُ في هذهِ الحقيقةِ. إنَّه لَمِنَ العَبَثِ أَنْ يَحاولَ البعضُ من خلالِ تحليلاتهمِ الماديَّةِ البحثَ عنِ العواملِ للتَّعرُّفِ على السِّرِّ الكامِنِ وراءَ شعارِ (الانتصارِ) وإدراكِ ماهيَّةِ الصُّمودِ، أولئك الذين لم يَطلِّعوا ولم يَتعرَّفوا على نجاحاتِ سورِيَّةِ في تجربةِ أساليبِ الصُّمودِ ومضمارِ (الصُّمودِ الأكبرِ).

(الصُّمودُ الأكبرُ) عنوانُ سورِيَّةِ الأسدِ التي أمضتْ مراحلَ في السَّيرِ والسُّلوكِ وَخَوْضِ غِمَارِ هذا المسيرِ المحفوفِ بالمخاطرِ. إنَّه من الأمانِي الكُبرى التي دَغَدَغَت أحلامَ كُلِّ الشُّعوبِ، وهو الوسيلةُ الأجدى لمواجهةِ المخاطرِ الكبرى. إنَّه نموذجٌ عن سياستنا التي هي عينُ صُمودِنَا. إنَّه المدرسةُ التي أحيانا القائدُ الخالدُ، والتي أفنى شطراً من عُمرهِ المباركِ في الدَّعوةِ إليها والسَّعيِ لِتحقيقِها. إنَّه الكلمةُ الواحدةُ في وجهِ العدوِّ.

أهمية الصمود وجذوره:

من الأمور التي كثر الحديث عنها في أيامنا مسألة الصمود التي تغصُّ المنابر الإعلامية والثقافية بالدعوة لها ومحاولة تثبيتها في فكر الناس وتجسيدها عملاً بين الشعوب. ومن المناسب أن نذكر الجذر لهذه الفكرة، فالفكرة أساساً لم تكن منطلقةً من فكرٍ شخصيٍّ واجتهادٍ وانتسابٍ، بل إنَّ أساسها وجذورها الحقيقيين في التاريخ المعاصر من قلب مدرسة الأسد، وهكذا تتميز مسألة صمودها بأنها:

١. فكرة أصيلةٌ بحدِّ ذاتها وثقافةٌ لم تُستورد ولم تُخترع لظروفٍ سياسيةٍ أو مرحليةٍ.

٢. تمتلك هذه المسألة بُعداً ثقافياً يجعلها فكرةً قابلةً للإقناع لأنها تعني كلَّ الشعوب، وكلَّ ذي ثقافةٍ أصيلةٍ.

٣. مسألةٌ قابلةٌ للدوام بسبب كونها أصيلةً بخلاف الثقافات التي لا تعتمد على أساسٍ ثابتٍ، ولهذا فإنها مسألةٌ يمكن أن تكون حلاًّ لمسائل الشعوب في جميع العصور.

سورية الأسد رائدة الصمود:

في الوقت الذي كانت الأمة فيه في حالة من الاحتضار على كل مستوياتها، وُلد صمود قامت به سورية الأسد. وكان لقيام هذا الصمود دور كبير في إحباط الكثير من المؤامرات، وأهمها تلك التي كانت تُحاك لتوسيع الشق الكبير، فانطبق ما قاله السيد الرئيس بشار الأسد على منبر جامعة دمشق في ٢٢ حزيران ٢٠١١: (فصول المؤامرة تُزهر في سورية.. إنها تُزهر عزة ومناعة).

ولطالما كانت التفرقة بين الأمم من الأساليب الدنيئة التي ينتهجها العدو الطامع للسيطرة، إذ لم يخل تاريخياً زمان ممن انتهج قاعدة (فرق تسد) كأسلوب يوصل إلى الهيمنة في بعض الأحيان، واستتباب الهيمنة في موارد أخرى، فالسيطرة على أمة ممزقة على أطرافها وغافلة عما يحاك لها أمر في غاية السهولة، ولا يكلف العدو إلا عناء جني الثمار بعد أن أنضجتها الخلافات والنزاعات.

ولوعي القائد الأسد لخطورة الأمر على الأمة، فقد ركز في الكثير من توجيهاته وخطاباته على مسألة الصمود والمقاومة، ولم يأل جهداً في تذكير الأمة دائماً بخطر الاختلاف والتشردم، وهذا ما سَنحاول

الإضاءةَ على أبعاده، حيثُ يَصْحُ القولُ بحقٍّ أن سيِّدَ مَنْ دَعَا إلى الصُّمُودِ وكرَّسه عملاً في حياته وأورثه للأجيالِ هو القائدُ الأسدُ وهذا ما سيَتَبَيَّنُ لنا.

فَلَوْ دَقَّقْنَا النَّظَرَ فِيمَا يَجْلِبُهُ الاستسلامُ عند الآخرينَ مِنَ المخاطرِ على الأمةِ سنجدُ أنَّ المشكلةَ الأساسيَّةَ هي في عدمِ الوعيِ لديهم بأنَّ هذه الاختلافاتِ لا تستدعي نزاعاً ولا ملاحاةً، فقوى الاعتدالِ غيرِ واعيةٍ كلَّ الوعيِ للمؤامرةِ الكبرى التي تُحَاكُّ لَهَا في المنطقَةِ، لذلكِ ترَاهُمْ لا يهْبُونَ لمقارعةِ هذا المشروعِ الخطرِ على حاضرِ الأمةِ ومستقبلِهَا، بينما تَخْلُصُ سورِيَّةُ الأسدِ في نهايةِ المطافِ إلى تشخيصِ مكامنِ الخطرِ على الأمةِ.

وتدلُّ شخصيَّةُ القائدِ على أنَّه القائدُ الأوَّلُ والمُلهِمُّ، والقُدوةُ والرَّجُلُ الإلهيُّ الأكملُّ، وأنَّه دَعَا إلى أن يكونَ الشَّعبُ يداً واحدةً في مواجهةِ أعدائِهِم وقوى الشَّرِّ الطَّامعةِ.

أفليسَ الصُّمُودُ مِنَ الدَّعائمِ التي أرساها القائدُ الأسدُ والتي بعثتُ رُوحَ الممانعةِ وأيقظتِ الضَّمائرَ...؟!!

لقد أرادَ قائدُ الوطنِ بشارَ الأسدِ أن يُحقِّقَ وحدةَ المقاومةِ والصُّمُودِ، فَبَدَّلَ جهوداً عمليَّةً كثيرةً في شتَّى الميادينِ لإرساءِ دعائمِ

الصُّمُودِ والمقاومة، حَتَّى لَيَمَكُنُنَا أَنْ نَقُولَ بِأَنَّهُ رَائِدُ الصُّمُودِ فِي الْقَرْنِ الحَادِي والعشرين، كَيْفَ لَا وَهُوَ الَّذِي أَخْرَجَ مَفْرَدَاتٍ مِنْ جَدَثِ الظَّلَامِ إِلَى المَجَامِعِ والمَسَامِعِ العَامَّةِ، حَيْثُ اسْتَعْلَلَّ كُلَّ فُرْصَةٍ لِيُنَبِّهَ الشُّعُوبَ العَرَبِيَّةَ إِلَى هَذَا الأَمْرِ الَّذِي بِهِ خَلَّصَهُمْ مِنَ المَآسِي والنَّكَبَاتِ المُتلاحِقَةِ الَّتِي مَرَّتْ بِهِمْ، لِاسِيْمَا النَّكْبَةِ الكُبْرَى، بَيْنَمَا نَجَدُ عَرَبَ العَدْتَالِ لَمْ يَرَفَّ لَهُمْ جَفْنٌ حَتَّى لَيَظَنَّ المَرءُ أَنْ لَا وَجُودَ لَهُمْ، إِذْ إِنَّ كَثِيرًا مِنْ حُكُومَاتِ العَدْتَالِ وَنَتِيجَةً لِلانْهزَامِ النَّفْسِيِّ أَوْ لِعَمَالَتِهَا تُنْفِذُ المَخْطَاطَاتِ الخِيَانِيَّةَ والرَّغْبَاتِ المَشْؤُومَةَ العَادِيَّةَ.

مرحلة التهديد:

نَقُولُهَا وَلَا نَحْتَاجُ قَطْعًا لِلدَّلِيلِ، وَنَقُولُهَا لِأَنَّ سُوْرِيَّةَ هُمَّنَا، وَدَائِمًا سَيَجْعَلُ القَائِدُ سُوْرِيَّةَ مُنْتَصِبَةً القَامَةَ وَفَاعِلَةً وَمُنِيعَةً وَغَيْرَ مُرْتَهَنَةٍ لِأَنَّهُ يَعْرِفُ كَيْفَ يَقِفُ فِي وَجْهِ الأَعاصِيرِ والسِّيْنَارِيُوْهَاتِ وَالمَشَارِيْعِ الصَّارِخَةِ.

وَكَلْنَا لَا نَزَالَ نَثُقُ بِهِ مَهْمَا كَانَتِ العَاصِفَةُ فِي عَالَمٍ يَتَشَكَّلُ مِنْ جَدِيدٍ، بَوْسَطِ تَلْكَ الضَّبَابِيَّةِ الهَائِلَةِ وَالاْتِبَاسِ الهَائِلِ. فَالثَّابِتُ أَنَّهُ قَدْ كَانَ هُنَاكَ خُطَطٌ مِنْ أَجْلِ إِخْضَاعِ سُوْرِيَّةَ وَتَفْجِيرِهَا بِتَلْكَ الأَزْمَةِ المُبْرَمِجَةِ.

والكثيرون يُدركون مَدَى العاصفة، وربما كثيرون لا يعرفون أن القائد الأسد كان يُدركُ الخطرَ لأنَّهُ أكبرُ من التَّصوُّرِ العُلنيِّ، فالخطُّ الجهنَّميُّ كانت قد وُضعتُ على الطاولةِ من قبلِ الصُّهيونيَّةِ العالميَّةِ. تاريخياً، هناكُ مشكلةٌ لدى هؤلاء، وهي أنَّهم لا يعلمون أنَّ السُّوريينَ لديهم أصحابُ القاماتِ العاليَةِ كالقائدِ الخالدِ حافظِ الأسدِ والقائدِ بشارِ الأسدِ الذي يُدركُ مَدَى الاعتلالِ الاستراتيجيِّ الذي تَعيَّشه إسرائيلُ، إنَّه القائدُ صاحبُ الأعصابِ الفولاذيَّةِ الذي يرى بعيداً وبعيداً.

وَنَتَذَكَّرُ مَا طَرَحَهُ القائدُ الأسدُ حِيَالَ المبادرةِ الدُّبلماسيَّةِ حولَ مفهومِ البَدِيلِ أو البَدَائِلِ - وهذه لغةُ العَصْرِ - إنَّ تَعَثَّرَ العَمليَّةِ التَّفَاوُضيَّةِ أو ماتتْ أو دارتْ، كَمَا هِيَ الْآنَ فِي الحَلِقَةِ المُرغَعَةِ. إنَّه القائدُ العربيُّ الوَحيدُ الذي يُدركُ ديناميكيَّةَ الأزمَةِ بِكُلِّ أبعادِهَا المَعقَدَةِ والمُتَرَامِيَّةِ مَعَ رُؤيَّتِهِ الثَّاقِبَةِ باتِّفَاقَاتِ بَعْضِ العَرَبِ السَّابِقَةِ مَعَ إِسْرَائِيلَ، الَّتِي فُتِنَ الكَثيرونَ فِيهَا بِالنَّصِّ الضَّبَابِيِّ والخَادِعِ وَالْآنِيِّ، فَالقائدُ الأسدُ كان يُدركُ أنَّ تَفَاوُضَ الفِلَسطينِيِّينَ مَعَ إِسْرَائِيلَ سَيُظَلُّ عَمليَّةً عِبثيَّةً تَسْتَنزِفُ الإمكاناتِ كَمَا تَسْتَنزِفُ الأزمنةَ، إنَّ لَمْ تَتَشكَّلْ حالةٌ إستراتيجيَّةٌ جَدِيدَةٌ تُفرضُ حُضُورَهَا فِي المَنطِقَةِ.

أما بالنسبة لصفقات الصدى والدلّ، فهناك من يتولّى صياغة التّسويات الملتبسة والمفخخة والتي تجد مكاناً لها داخل الفراغ العربيّ. فأصحاب الأفكار الفارغة هم الذين يقاومون في السرّ أو في العلن السياسات التي ينتهجها القائد الأسد للحيلولة دون إنتاج (الشرق الأوسط الجديد) للمنطقة.

وإنّنا نثق بالمستقبل الذي هو هاجس القائد الأسد، لأنّه يتفاعل مع الجدليّة، ولهذا يعمل من أجل تطوير مفهوم الصراع في المنطقة لكي تتداخل معطيات المكان مع معطيات الزّمان.

وقد قال القائد بشار الأسد في ذلك الخطاب الذي نستشف منه أنّ الجهود الشاقّة والهائلة التي بذلها بما فرّصته تلك السّنوات من الصّهيونيّة وأعاونها الخونة قد بدأت تُؤتي ثمارها: (لأنّ المنطقة استراتيجياً تغيّرت بدل أن تبقى في مهبّ الرّيح).

إنّه الرّهان السوريّ الفدّ الذي يدفع المنطقة بعيداً عن الاستسلام، فالعالم يتغيّر ويتغيّر بعد سلسلة الصّدّات العسكريّة لإسرائيل في حروب التّحرير وتموز للمقاومة.

وما طرّحه الرّئيس بشار الأسد حول تلك المنظومة بدلالاتها الإستراتيجيّة، هو أكثر من ضرورة للخروج من منطلق الوقوف، قطعاً

ثُمَّ مَكُونَاتٌ جَدِيدَةٌ، وَلِأَنَّ عِقَابَ السَّاعَةِ لَا تَعُودُ إِلَى الْوَرَاءِ، فَإِنَّا نَعِيشُ بَدَايَاتِ التَّحَوُّلَاتِ الْكُبْرَى، وَمَا سَمَعْنَاهُ مِنَ الْقَائِدِ الْأَسَدِ تَأْكِيدُهُ الْقَاطِعُ عَلَيَّ أَنَّنَا لَنْ نَبْقَى فِي مَرِحَلَةِ الْإِنْتِظَارِ.

يَجِبُ أَنْ يَتَعَاطَى الْجَمِيعُ بِشَفَافِيَّةٍ وَرَقِيٍّ وَمَسْئُولِيَّةٍ مَعَ كَلَامِ الْقَائِدِ الْأَسَدِ بَعِيدًا عَنِ الْعَشَوَانِيَّةِ وَالتَّوْظِيفِ الْعَبْثِيِّ الْمَدْمُرِّ.

إِنَّ مَا فَهَمْنَاهُ مِنْ كَلِمَاتِ الْقَائِدِ الْأَسَدِ عِلَاقَاتٌ خَلَّاقَةٌ بَدَلًا مِنَ التَّشْتُّتِ الْخَلَّاقِ الَّذِي مَا بَرَحَ يَفْتَكُ بَرُوحَ الْأُمَّةِ وَجَسَدِهَا. فَلَيْسَ الْقَائِدُ مِنْ يَخَافُ وَمَنْ يُهَدِّدُ عَسْكَرِيًّا مِنْ خِلَالِ الْوَسْطَاءِ الْأُورُوبِيِّينَ أَوْ الْعَرَبِ، وَلَيْسَ السُّورِيُّونَ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ، وَمَنْ يَقْرَأُ التَّارِيخَ فِي الْمَاضِي يُدْرِكُ كَمْ أَنَّ الْوَسْطَاءَ ضَاقُوا ذَرْعًا بِصَلَابَةِ الرَّئِيسِ الْخَالِدِ حَافِظِ الْأَسَدِ وَفَهَمَهُ لِكُلِّ التَّفَاصِيلِ، (وَإِنَّ صَاحِبَ هَذَا الْإِحْسَاسِ اعْتَرَفَ بِالذَّهْشَةِ أَمَامَ الرَّجُلِ الَّذِي لَا يُكْسِرُ) كَمَا قَالَ جِيمْسُ بِيكِر.

لَا شَيْءَ تَغْيِيرٍ، وَلَا شَيْءَ سَيْتغَيَّرُ، الْقَائِدُ بَشَارِ الْأَسَدِ وَصَلَ إِلَى تِلْكَ النُّقْطَةِ الَّتِي أَثَارَتْ ذُهُولَ كُلِّ مَنْ التَّقَى بِهِ وَبَحَثَ مَعَهُ فِي الْقَضِيَّةِ. فَهُوَ الرَّئِيسُ الَّذِي يُدْرِكُ مَاذَا تَعْنِي التَّهْدِيدَاتُ، وَمَاذَا يَعْنِي الْحِصَارُ وَتَشْوِيبُهُ الْحَقَائِقِ وَتَرْوِيجُهَا فِي الْوَضْعِ السِّيَاسِيِّ وَالْإِعْلَامِيِّ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ

يعلمون أنه ليس لدى القائد الأسد أية رغبة في المساومة، أو في الأخذ بالإغراءات والتهديدات.

أجل إنه كلام القائد الأسد الذي تحتاج إليه الأمة ليكون مؤثراً في هذه القوى العربية، فلا يظن أحد أن إسرائيل تتنازل بواسطة الصدمات الخفيفة. فهل من بعيد قامتنا إلى وضعها الطبيعي غير أصحاب الممانعة والمقاومة؟

سمعنا حول قضايا المنطقة من القائد الأسد كلاماً عميقاً عقلاً محورياً واستراتيجياً يطرح الرؤية بحيث لا تبقى الطاقات تتناثر هناك وهناك في لعبة التهديد بأدوات.

فقد وصف القائد الأسد الشرق الأوسط بأنه مستودع للغيبوبة، فأزعجتهم خطابته أكثر فأكثر بنبرتها العالية، لأنهم تعودوا أن عرب الاعتدال هم رؤوس التنازل، فاكشفوا بذهول وبمرارة أن ثمة قائد يرفع صوته، لأنه لا يزال يحمل الشعلة الخالدة، ويصر على أن سورية التي أنتجت تلك الثقافة الفذة الخالدة لا تزال قادرة على الخروج من أية متاهة. والأدلة في الماضي والحاضر أمامنا، ولنسأل أين هي تنازلات الخصوم المتعلقين بأوهام الاستسلام؟

كَانَ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءُ وَغَيْرُهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ يُمْكِنُ اغْتِيَالُ الصُّمُودِ
السُّورِيِّ بِمَا يَتِيحُ لَهُمْ إِدَارَةُ الْمُنْطَقَةِ بَعْدَ تَحْوِيلِ سُوْرِيَّةَ إِلَى دَوْلَةٍ
مَحَاصِرَةٍ، فَحَاصِرُوا وَهَدَّدُوا دُونَ أَنْ يَعْلَمُوا مَنْ هِيَ سُوْرِيَّةُ الْأَسَدِ، وَمَنْ
هُوَ الشَّعْبُ السُّورِيُّ، وَمَنْ هُوَ الْقَائِدُ فِي سُوْرِيَّةَ..؟!!

وَلَكِنْ هَذِهِ سُوْرِيَّةُ الْأَسَدِ- الَّتِي يُقَالُ الْآنَ أَنَّهُ لَا غِنَى عَنْهَا-
اسْتَعَادَتِ الْمَكَانَةَ بِفَعْلِ الْمَمَانَعَةِ فَضْلًا عَنِ التَّمَسُّكِ بِقِيمِ الْمَقَاوِمَةِ
وَتَوَابِتِهَا، حَيْثُ عَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ السَّيِّدُ الرَّئِيسُ بِشَارِ الْأَسَدِ بِقَوْلِهِ: (مَنْ
الْأَسَاسُ أَنَا أَرَفُضُ كَلِمَةَ وَرَقَةٍ تَفَاوُضِيَّةٍ، أَوْ أَنْ تَكُونَ الْمَقَاوِمَةُ وَرَقَةً،
لَأَنَّ هَذَا الْقَوْلَ فِيهِ تَقْزِيمٌ لِلْمَقَاوِمَةِ... وَنَحْنُ فِي سُوْرِيَّةَ عَلَيْنَا أَنْ نَقْفَ
مَعَ هَذِهِ الْمَقَاوِمَةِ مَعَ هَذَا الْوَطَنِ بِالشَّكْلِ الَّذِي يَرَاهُ هُوَ).

وَكُلُّنَا نَعْلَمُ أَيَّ نَوْعٍ مِنَ التَّهْدِيدِ وَأَيَّ نَوْعٍ مِنَ الضُّغُوطِ فُرِضَ عَلَى
سُوْرِيَّةَ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا دَفَعَ قَارِعُوا الطُّبُولَ بِالْحَرْبِ عَلَى سُوْرِيَّةَ أَنْ
الْمُنْطَقَةَ مِنْ دُونَ سُوْرِيَّةَ ذَاهِبَةً إِلَى الضَّبَابِيَّةِ، بَلْ إِلَى الضِّيَاعِ وَالتَّفْكُكِ،
اعْتَرَفَ الْجَمِيعُ أَنَّ سُوْرِيَّةَ دَوْلَةٌ مَرْكَزِيَّةٌ وَفَاعِلَةٌ وَمُؤَثِّرَةٌ فِي الْمُنْطَقَةِ مَهْمَا
حَاوَلُوا التَّهْدِيدَ بِالْحَرْبِ أَوْ الْفَقْرَ فَوْقَهَا مِنْ خِلَالِ مَحَاوِلَاتِ التَّهْدِيدِ.

هَذِهِ رُؤْيَا الرَّئِيسِ الْأَسَدِ الْمُتَمَلِّئِ أَمَلًا مِثْلَمَا هُوَ مَمْتَلِئٌ قُوَّةً،
وَالَّذِي يَتَابَعُ بِدِقَّةٍ رُؤْيَا الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ، فَهُوَ الَّذِي أَتَى بِثَقَافَتِهِ لِهَذَا الْعَصْرِ

فخاطبَ العربَ في القِمَمِ بأنَّ اللامبالاةَ والمعالجاتِ الآنيَّةَ لا تفيدُ الآنَ،
فالقائدُ الأسدُ وما يُمثِّلُ في قوَّةِ الصُّمودِ يَعْلَمُ التَّيَّةَ العربيَّ الكبيرَ في
الموقفِ والفعلِ، وهنَّا نجدُ أنَّ القَضِيَّةَ الكُبْرَى والطَّامَّةَ الكُبْرَى هي أزمةُ
الفعلِ العربيِّ.

وسورية تحتَ رؤيةِ السيدِ الرئيسِ بشارِ الأسدِ هي مركزُ الصِّراعِ
في الشَّرْقِ الأوسطِ استراتيجيًّا وسياسيًّا، فالعالمُ بأجمعه يعترفُ الآنَ أنَّ
سياسةَ القائدِ هي المعادلةُ الأساسيَّةُ في الشَّرْقِ الأوسطِ مهما حاولَ
الآخرونَ التَّشكيكَ.

وهنا يجبُ أن نَتَوَقَّفَ عندَ إسرائيلَ العنصريَّةِ صانعةِ الضَّحايا،
فَمَا حَدَثَ في غَزَّةَ محرقةً من طرازِ آخرِ، إذ لديهم حالةٌ من الكراهيَّةِ
والحقدِ هي الأساسُ، فنحنُ لسنا أمامَ دولةٍ تلتزمُ حتَّى بأدنى المعاييرِ
للعلاقاتِ بينَ الدُّولِ، أو حتَّى للعلاقاتِ بينَ البشرِ، لأنَّهم كانوا
يعتبرونَ أنفسهمُ وحدَهُم فوقَ هذا العالمِ، وهذا يعكسُ التَّردِّيَ والعمى
السِّياسيَّ الذي يحكمُ في إسرائيل.

ويزدادُ المشهدُ وضوحًا عندما يقاربُ المسألةَ الإستراتيجيَّةَ،
فإسرائيلُ دائماً كانتْ هيَ التي تثيرُ الاضطرابَ، وهي التي تقطعُ
الطَّرِيقَ على العربِ، وتُظهِرُ أصحابَ الاعتدالِ العربيِّ بمظهرهم الرثِّ

ليكونوا شكلاً من أشكال التَّسْوُل لها، حيث قالوا لهم: عليكم أن تَخْضَعُوا أمامَ إسرائيلَ حتَّى تصلَكم حُقُوقُكم...

ولكنَّ القائدَ بشارَ الأسدَ ردَّ عليهم منذُ استهلَّ عهدَهُ بقوله:

(لنْ نكونَ مستعدِّينَ لدفعِ ضريبةِ عجزِ الحكوماتِ الإسرائيليَّةِ وعدمِ قُدْرَتِهَا على اتِّخاذِ القراراتِ التي تُدْفَعُ عمليَّةُ السَّلامِ للأمامِ من حسابِ سيادَتِنَا وكرامَتِنَا).

لقد أردنا العثورَ على موطنٍ قدمٍ للحقِّ في هذه الحالةِ الدوليَّةِ الدُّبْلوماسيَّةِ التي يمكنُ وصفُها بحالةِ اللابقاءِ لأنَّها مفاوضاتٌ لتقطيعِ الوقتِ مع إسرائيل لتجعل قوى الاعتدالِ نائمةً، والمشكلةُ أنَّ إسرائيلَ قد تَسْتَخْفُ بِعقولِ قوى الاعتدالِ، ولكنَّهم لنْ يَسْتَطِيعُوا أنْ يَسْتَخْفُوا بدورِ سوريَّةِ، فكيفَ تعاطى القائدُ الأسدُ مع المرحلةِ الماضيَّةِ بوجودِ نومِ عربِ الاعتدالِ عندما تلاحقتِ الصَّيحاتُ في اتِّجاهِ تهديدِ سوريَّةِ لأنَّها كانت تُريدُ إخراجَ العربِ من هذه الحالةِ؟

الذين يعرفونَ القائدَ الأسدَ يُدركونَ ما عندهُ من الآمالِ المضيئةِ في صناعةِ القرارِ بعيداً عن الذين تَحَوَّلَ الخوفُ عندهم إلى ثقافةٍ وقناعةٍ، ولنلاحظْ كيفَ أنَّ القائدَ الأسدَ خلالَ فترةِ التَّهديدِ سَعَى إلى إطلاقِ حركتِهِ الجديدةِ لخريطةِ المنطقةِ.

فعرّبُ الاعتدالِ هم في ثقافةِ الخوفِ والصدأ، فالصدأُ والخوفُ عباءةُ العربِ المعتدلين، وهم في حالةِ التّماهي والسّوقِ استراتيجيًّا، فثرواتهم في خدمةٍ من يجرّهم إلى الانهيار!

ومنّ تابعَ ما يقومُ به الرّئيسُ الأسدُ في ذلكَ المشهدِ من تلكِ الصّيحاتِ، سيجدُ أنّه أبقى ضجيجَ إسرائيلَ بالحربِ مجردَ ضجيجٍ بعدما ضاقَ الهامشُ العسكريُّ لديهم، وحتّى الاستراتيجيُّ. وفي مرحلةِ التّهديدِ كُنّا في سورّيّةٍ نسمَعُ بعضَ الأصواتِ العربيّةِ القبيحةِ لأولئكِ الذينَ ما زالوا يتمسّكونَ بالاستسلامِ تُقاربُ المسألةَ دونَ توقّفٍ، ولكنّا كشعبٍ نعلمُ أنّه مهمّا كانتِ المعاناةُ ومهما طالَ التّهديدُ ومهما علا في أيّةِ مرحلةٍ سوداءَ أنّنا في ظلِّ قيادةٍ صاحبِ القامةِ الشامخةِ العاليةِ القائدِ بشارِ الأسدِ، الذي نشأ في ذلكَ البيتِ الذي لا مكانَ فيه للمواربةِ ولا للاستسلامِ، فهو من أبوابِ الصّمودِ التي تبقى عنوانًا لكبريائنا، فلا سياسةُ التّهديدِ ولا سياسةُ التّهويلِ تنفعُ مع المدىِ المستقبليِّ عندَ القائدِ الأسدِ الذي لن يقبلَ أنْ تقفَ المنطقةُ أمامَ المجهولِ، مهما بلغَ الحمقُ الإسرائيليُّ من الحدِّ.

إنها القامة الشاهقة للقائد الأسد الذي عرف أن الرُكَّام الذي صنَّعه التَّواطؤُ العجيبُ والمريبُ والرَّهيبُ خلالَ فترةِ الحصارِ سوفَ يأخذُ بالتَّقهُّرِ بعدَ أنْ يأخذَ مَدَاهُ خلالَ السَّنواتِ الماضيةِ.

وقد قالَ السَّيِّدُ الرَّئِيسُ بشارَ الأسدِ مُوكِّدًا على هذهِ الفكرةِ: (الحقيقةُ أنَّ موضوعَ عزلِ سورِيَّةَ طرِحَ سابقًا.. وأنا أجبْتُ في الإعلامِ بأنَّ العزلَ لنْ يُؤدِّيَ إلى نتيجةٍ مع سورِيَّةَ.. ومن يعزلُ سورِيَّةَ أو يحاولُ عزلَ سورِيَّةَ فهو يعزلُ نفسهُ عن قضايا المنطقةِ... في الحقيقةِ إنَّ وضعَ سورِيَّةَ لم يتغيَّر.. نحنُ جزءٌ أساسيٌّ من القضايا الموجودةِ في فلسطين.. الوضعُ في لبنان.. العراق.. موضوعُ الإرهابِ وأيَّةُ قضيةٍ أخرى. نحنُ جزءٌ أساسيٌّ من الحلِّ.. لم يكنْ من الممكنِ عزلَ سورِيَّةَ... ولا يمكنُ لأيِّ شخصٍ آخرٍ أنْ يُوجِّهَ تُهماً من دونِ أدلَّةٍ... فهذا الاتِّهامُ من قبلِ أيِّ كانٍ مرفوضٌ بشكلٍ كاملٍ... الفكرةُ إذا كانت تساعدُ على الوصولِ إلى نتائجٍ ايجابيةٍ فيما يتعلقُ بالتحقيقاتِ.. فهذا شيءٌ جيِّدٌ.. بشرطِ أنْ تكونَ محكمةً مهنيَّةً محترفةً غيرَ مُسيَّسةٍ... نحنُ كُنَّا دائماً نرفضُ هذهِ الاتِّهاماتِ ولا نُعطيها أيَّةَ أهميَّةِ).

كَمَا قَالَ رَدًّا عَلَى سُؤَالٍ عَنْ أَنَّ الْأَحْدَاثَ أَثْبَتَتْ صَوَابِيَّةَ الْمَوْقِفِ السُّورِيِّ: (قَبْلَ أَكْثَرِ مَنْ عَامٍ بِقَلِيلٍ كَانَتْ أَمْرِيكَ تَقُولُ: إِنَّهُ لَا أَهْمِيَّةَ لَنَا، وَإِنَّا ضُعْفَاءُ، وَإِنَّهُ لَا دَوْرَ لَنَا، لَقَدْ أَثْبَتَتْ التَّطَوُّرَاتُ الْأَخِيرَةُ صَوَابِيَّةَ مَوْقِفِنَا. فِي الْوَاقِعِ إِنَّ كُلَّ مَنْ يَتَحَدَّثُ عَنْ عَزْلِ سُوْرِيَّةَ يَعْزِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْمَنْطِقَةِ. إِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْعَدِيدِ مِنَ الدُّوَلِ الَّتِي شَارَكَتْ فِي مَحَاوَلَاتِ عَزْلِ سُوْرِيَّةَ تَجْدِينَ أَنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَلْعَبَ أَيَّ دَوْرٍ بِنَاءً).

خِيَابُ أَمَلٍ لَتَلِكِ الْهَمْجِيَّةِ الْمَسْمَاةِ (إِسْرَائِيلَ)، فَلَا التَّرْسَانَةَ الْعَسْكَرِيَّةَ وَلَا التَّكْنُولُوجِيَّةَ نَفَعَتْهُمْ، وَسَقَطَ لَدَيْهِمْ مَنْطِقُ الْحُرُوبِ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي طَلَمَا فَرَضَتْهَا النُّصُوصُ الْعَنْصَرِيَّةُ بِكُلِّ دَمُويَّتِهَا وَبِكُلِّ ضَجِيحِهَا.

وَنَحْنُ فِي سُوْرِيَّةَ أَصْحَابُ الصُّمُودِ وَأَصْحَابُ الْقَضِيَّةِ لَا نُجَافِي بِرَاغِمَاتِيَّةِ الْعَصْرِ، فَالَّذِي يَظْهَرُ الْآنَ بِكُلِّ تَجَلِّيَّاتِهِ وَعَبْرَ السِّيَاسَاتِ لِحُكُومَةِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ حَرْبِ تَمُوزِ فِي لِبْنَانَ وَالْمَمَانَعَةِ فِي سُوْرِيَّةَ، هُوَ حَالُ الضَّعْفِ الْإِسْرَائِيلِيِّ الْمَثِيرُ الْمَذْهَلُ الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ الْقَائِدُ بِنشَارِ الْأَسَدِ فِي قَوْلِهِ: (الْحَقِيقَةُ أَنَّ الْمَشْكَلَةَ هِيَ لَدَى إِسْرَائِيلَ، وَهِيَ الْوَاقِعَةُ الْآنَ

في مشكلةٍ حقيقيَّةٍ)، وهذا يجعلنا نشعرُ بالكبرياءِ وخاصةً عندما سمعنا كلامه عن العزيمةِ بقوله: (وإِنَّا لَعَاظِمُونَ...!).

كلامٌ عظيمٌ للقائدِ الأسدِ، فالمسألةُ تتعلَّقُ في الإصرارِ على التَّفَعِيلِ العَمَلِيِّ لفلسفةِ الممانعةِ والمقاومةِ، في حين يتآكلُ الوضعُ الاعتداليُّ العربيُّ استراتيجيًّا.

فالأيدي القذرةُ الملطَّخةُ بنيرانِ الاتِّهَاماتِ لسوريَّةٍ لم تتوقَّفْ، وليسَ لها منطقٌ ولا قيمٌ ولا معاييرٌ واقعيَّةٌ تُستخدَم. حتَّى في هذهِ الظروفِ كَثُرَتِ السِّيناريواتِ والخطُّ التي ما برحت تُنشِطُ ضدَّ سوريَّةِ الأسدِ.

ونسَمعُ اليومَ عن الجنونِ الإسرائيليِّ الذي اختزلتهُ صفةُ الهذيانِ، وبعيداً عن تلكَ التَّحليلاتِ السَّاذجةِ والرَّتيبةِ التي دأبَ البعضُ من العربِ على تردادِها، فإنَّ للهذيانِ أكثرَ من سببٍ، فبعدما راهنوا على التَّهديدِ عندما بلغَ أشدهُ، أخذتُ الهمجيَّةُ بالحربِ على المقاومةِ لِتفتيتِ الصُّمودِ السُّوريِّ، حينَ يَنقُتُ الصُّمودُ برأيهم تَتَفُتُّ المنطقةُ. ولكنَّ الرِّهانَ على ذلكَ النَّحوِ الصَّارخِ قد سقطَ، فكانَ الذَّهابُ إلى السِّيناريواتِ الأخرى يدفعُ المنطقةَ العربيَّةَ أكثرَ إلى الخرابِ، وبما

أَنَّ الصُّمُودَ السُّورِيَّ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الدَّفَاعِ عَنِ سُورِيَّةَ، فَهَنَّاكَ مَا هُوَ
أَبْعَدُ بِكَثِيرٍ مِمَّا حَصَلَ وَيَحْصَلُ.

هذه الوقائعُ وتفصيلُها كثيرةٌ ومثيرةٌ، بل وهائلةٌ، لا يعرفُها
كثيرونَ لأنَّ القائدَ الأسدَ يذهبُ إلى الأمورِ ومعهُ ذلكَ الصُّمُودُ العظيمُ.

صورة المعادلة:

كَانَ لِأَبْدٍ مِنَ الصَّوْتِ الْعَالِيِ فِي الْقَضِيَّةِ لِكِي يُدْرِكَ الْإِسْرَائِيلِيُونَ
أَنَّ الْمَعَادِلَةَ تَغَيَّرَتْ، وَأَنَّهٗ لَا يُمْكِنُ الْإِسْتِمْرَارُ بِاللُّعْبَةِ الْقَدِيمَةِ، فَالرَّهَانُ
عَلَى تِلْكَ الْقُوَى الْعَرَبِيَّةِ الْمَعْتَدِلَةِ قَدْ ضَاعَ.

وبهذا يؤكدُ القائدُ الأسدُ أنَّه لا يزالُ هُنَاكَ مَنْ هُمْ خَارِجَ
الْغَيْبِوْبَةِ. وَنَحْنُ فِي سُورِيَّةِ نُدْرِكُ ذَلِكَ جَيِّدًا، وَنَعْلَمُ مَاذَا فَعَلَ الْقَائِدُ
الْأَسَدُ لِتَحْدِيثِ الْإِمْكَانَاتِ وَتَفْعِيلِهَا إِلَى أْبْعَدِ مَدَى، تَحَسُّبًا لِاحْتِمَالَاتِ
الْكَثِيرَةِ وَالْمَعْقَدَةِ وَالْحَاضِرَةِ، فِي هَذِهِ الْأَزْمَةِ الَّتِي عَزَمَ مِنْ عَزَمٍ عَلَى وَضَعِ
دَوْرِهِ فِيهَا مِنْ خِلَالِ تِلْكَ الْعُقُولِ الْمَجْنُونَةِ وَالْأَدْمَعَةِ الرَّدِيئَةِ، حَيْثُ لَا
مَكَانَ إِلَّا لِلْقَضَايَا الْبَالِيَةِ بِالْإِجْتِرَارِ الْعَبْثِيِّ اللَّأَوَاعِي عِنْدَهُمْ، وَإِنَّمَا هِيَ
وَأَقْعَةٌ بِالْوَهْنِ الْإِسْتِرَاتِيْجِيِّ لِقُوَى الْإِعْتِدَالِ.

لنقرأ جيداً ما قاله القائد بشار الأسد: (لقد دَقَّ جرسُ الإنذارِ، الأمةُ تتأكلُ بفعلِ تلكِ الآفاتِ، والمشكلةُ لا تُحلُّ بالوسائلِ الآنيَّةِ، وإنَّما بإعادةِ النَّظَرِ في الوضعِ العربيِّ برُمَّتِهِ، كيفَ نُواجهُ مشكلاتِنَا؟ وكيفَ نُحدِّدُ مكاننَا في القرنِ؟).

وإسرائيلُ هي المعزولةُ والمنهزمةُ الآنَ فيما العالمُ ينفتحُ على سوريةِ الأسدِ، وهذا ما أكَّدهُ القائدُ بشارُ الأسدُ بقوله: (إنَّ الدُّولَ التي سَاهمتْ بمحاولاتِ عزلِ سوريَّةِ هي الآنَ الدُّولُ الأقلُّ قدرةً على لعبِ دورٍ في الشَّرْقِ الأوسطِ، لذلكَ لم يُسحبْ منَّا دورٌ حتَّى يكونَ لنا دورٌ جديدٌ، والدُّورُ نأخذُه من خلالِ موقعِنَا الجيوسياسيِّ ومن خلالِ رَغْبَتِنَا في لعبِ دورٍ بِنَاءٍ في مَنطقتِنَا).

فالسُّوريُّونَ يرَاهنونَ دائماً ويفوزونَ فوزاً عظيماً، لأنَّ القائدَ الأسدَ كسبَ الرِّهانَ بعدما تهاوتِ الأدواتُ، والأهمُّ أنَّ سوريَّةَ عَقَدتِ العزمَ على ألاَّ تَبقى الفوضى الإستراتيجيَّةُ، هذهِ الفوضى التي أشارَ إليها القائدُ بشارُ الأسدُ بقوله: (وهكذا فإننَّا نعيشُ اليومَ حالةَ فوضى من المفاهيمِ الخاطئةِ والمُصطلحاتِ الكاذبةِ.. والتي تزيدُ الانقسامَ بينَ الثقافاتِ وتهيئُ للمزيدِ من الحروبِ وسفكِ الدِّماءِ... إلى أينَ يذهبونَ بالمنطقةِ بمثلِ هذهِ القراراتِ بمعزلٍ عن الأهدافِ الحقيقيَّةِ أو

الوهمية. المنطقة كانت على حافة البركان.. ولكننا الآن أصبحنا في الشرق الأوسط في قلب البركان... هل يريدون أن يلقوا بكل المنطقة بدون استثناء في قلب الحمم داخل البركان؟).

كل شيء الآن يُثبت أن إسرائيل إلى تقهقر إضافي، وهذا ليس استنتاجاً أو أنه من قبيل التمني، فتمّة واقع آخر يتشكل، ودون أن يدري أحد ما هي تداعيات تلك التفاعلات التي تحدث الآن.

وقد كان الرئيس بشار الأسد أول من استشرَف آفاق الحقبة المقبلة، وراح يعدُّ لتطوير المفاهيم والمعايير والرؤى التي تحكم الشرق الأوسط بقياساته المختلفة، وصولاً إلى منظومة حركية متماسكة وقادرة على المواجهة. هذا بسبب الرؤية السورية الاستراتيجية، وأيضاً بسبب ذلك المنطق السوري الضارب في كل الاتجاهات، وأمام كل هذه الدجاجات للقائد في هذه الأزمات، ما دام هناك من يُصرُّ على فلسفة التهديد، وكادت تتحوّل لديهم إلى رهان دائم من دون أن يفهموا أن قَدَمي سورية الأسد من الفولاذ لا من الطين!

خيالهم في وضع سورية بالحصار الدائم خاضع للارتهان، مع العلم بأن ثقافة الارتهان وإلى آخر الدهر لا تصلح مع سورية الأسد.

والذي يتابع قليلاً في المشهد يَرَى أَنَّ الإِعْصَارَ تَلَوَّ الإِعْصَارِ يَدُقُّ
البَابَ السُّورِيَّ، وَلَكِنَّ القَائِدَ الأَسَدَ بَقِيَ مُنْتَصِبَ القَامَةِ عَالِيِ الهِمَّةِ،
تَزُولُ الإِعْصَارَاتُ وَهُوَ لَا يَتَّقَهْرُ.

وَالسُّورِيُّونَ يَعْلَمُونَ كَشَعْبٍ فَذََّ أَنْ فِي الحَاضِرِ بِشَارِ الأَسَدِ،
وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا كَانَتْ مَرِحَلَةً كُبْرَى، فَالسِّيْنَارِيو الَّذِي وُضِعَ فِي مَكَانٍ مَا
لَمْ يَكُنْ يَبْتَغِي تَفْكِيكَ سوريَّةَ فَقَطْ، بَلْ تَفْكِيكَ الدَّوْرِ كُلِّهِ، وَتَحْوِيلَ
الْمِنْطَقَةِ بِأَسْرِهَا إِلَى شِظَايَا مُنْقَسِمَةٍ.

وَرَأَيْنَا القَائِدَ بِشَارَ الأَسَدِ يُدْلِي بِمَوْقِفِهِ قَائِلًا: (إِنَّ أَحَدَ الأَخْطَاءِ
الَّتِي تَقَعُ فِيهَا الدُّوْلُ الكُبْرَى هِيَ أَنَّهَا تَتَّعَامَلُ مَعَ الحَدِثِ بِشَكْلِ
زَمْنِيٍّ قَصِيرٍ... وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ نَعْمَلَ لخدمَةِ مَصَالِحِهِمْ، وَخَاصَّةً عِنْدَمَا
تَكُونُ ضِدَّ مَصَالِحِنَا).

أَمَامَ ذَلِكَ المَشْهَدِ يَعْلَمُ الشَّعْبُ السُّورِيُّ مَاذَا يَفْعَلُ القَائِدُ الأَسَدُ،
وَكَيْفَ صَمَدًا، وَمَاذَا فَعَلَتِ الأَزْمَةُ الَّتِي اجْتَارَتْهَا سوريَّةُ بِثَبَاتٍ وَبِقُوَّةٍ،
بَلْ وَبِفَاعِلِيَّةٍ مُنْقَطِعَةِ النَّظِيرِ.

فإِسْرَائِيلُ فِي حَالَةٍ ضَعْفٍ اسْتِرَاتِيْجِيٍّ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ مُصْطَلِحَ
الشَّرْقِ الأَوْسَطِ الكَبِيرِ الَّذِي هُوَ حَلْمٌ لإِسْرَائِيلَ بَلَغَ ذَلِكَ الحَدَّ مِنَ الوَهْنِ،

وَأَنَّ الْحِيرَةَ وَالتَّصَدُّعَ وَالخِيَارَاتِ الوَاهِيَةَ وَالصَّائِعَةَ، بَلْ وَالخِيَارَاتِ
القَاتِلَةَ، أَصْبَحَتْ مِيَّزَاتِ إِسْرَائِيلَ، فَاليَوْمَ تَنْزَلُقُ إِسْرَائِيلُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ..
لَقَدْ اسْتَشْعَرَ السَّيِّدُ الرَّئِيسُ بِبِشَارِ الأَسَدِ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ الأُمُورُ،
فَأَصْرَّ عَلَى إِحْدَاثِ مَعَادِلَةٍ جَدِيدَةٍ تَسْعَى لِلحَيْلُولَةِ دُونَ تَدْهُورِ المَنْطِقَةِ،
إِنْ لَمْ نَقُلْ: الاضمحلال.

وَالعَالَمُ بَدَأَ يَسْتَشْعِرُ مَفَاعِيلَ المَعَادِلَةِ الجَدِيدَةِ، عَلَى أَمَلٍ أَنْ
يَصْحُوَ عَرَبٌ آخَرُونَ. لِذَلِكَ فَالْجَمِيعُ فِي سوريَةٍ يُبْدي ارتياحًا وَاضِحًا
لِحَصِيلَةِ الرُّهَانِ الطَّوِيلِ، وَالذِي وَاجَهَتْ فِيهِ سوريَّةٌ أَعْتَى الأَعاصيرِ
فَأَحْبَطَتْ ذَلِكَ المَخْطَطَ الهَائِلَ لِخَارِطَةِ المَنْطِقَةِ.

أَجَلٌ إِنَّ القَائِدَ الأَسَدَ صَاحِبَ البُعْدِ العَبْقُرِيِّ فِي شَخْصِيَّتِهِ أَطْلَقَ
مِنْ خِلالِ تِلْكَ العِلَاقَةِ مَعَ إِيرانِ إِيقَاعًا جَدِيدًا، بَدَأَتْ نَتَائِجُهُ فِي
الظُّهُورِ، وَلَنْ تَبْقَى المَنْطِقَةُ رَهِينَةَ الارْتِهَانِ لِلعَبَةِ الاعْتِدَالِ العَرَبِيِّ.
وَبِكُلِّ تَأْكِيدٍ فَإِنَّ العَالَمَ الذِي اعْتَادَ عَلَى نَمْطِيَّةٍ مَعِينَةٍ عِنْدَ بَعْضِ
العَرَبِ، فَوَجِئَ حَتْمًا بِمَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ القَائِدُ الأَسَدُ مِنْ تَأْكِيدٍ بِأَنَّ المَنْطِقَةَ
لَنْ تَبْقَى كَمَا كَانَتْ، وَلَا كَمَا هِيَ الآنَ.

أَجَلٌ، هِيَ لِحِظَةٌ حَاسِمَةٌ وَبِمَا تَعْنِيهِ الكَلِمَةُ، وَمَا نَقُولُهُ لِمَنْ لَا
يُزَالُونَ رَغْمَ كُلِّ التَّبَدُّلَاتِ المُثِيرَةِ وَالمُؤَثِّرَةِ فِي المَشْهَدِ تَحْتَ خَطِّ الرُّؤْيَةِ،

ولا ينظرونَ إلى الأشياءِ إلا بنظرةِ الضَّعْفِ، أنَّ عليهم التَّعاطيَ وعلى الأقلِّ بواقعيَّةٍ ما دامتْ تَنْقُصُهُمُ العقلائيَّةُ مع التَّحوُّلاتِ.

لعلَّ هؤلاء لا يسمعونَ ما يقولُ لهمُ القائدُ الأسدُ، وهم مصابُونَ بالعمى السِّيَاسِيَّ. على كلِّ حالٍ نحنُ نعيشُ في زمنٍ آخرٍ، وفي رهانٍ آخرٍ، لأنَّنا ننايُ بأنفسِنَا عن لعبةِ الاستسلامِ، وَنُنتِجُ مستقبلَنَا بأيدينا وعلى كافَّةِ المستوياتِ، وهذا ما يفعلهُ تحديداً الرَّئيسُ الأسدُ في صناعةِ المستقبلِ للمنطقةِ.

الفصل الرابع

الدَّورُ السُّورِي

عندمَا يُخَطُّ اسْمُ سورِيَةِ الأسدِ عَلَى الصَّفَحَاتِ تَتَكَاثَفُ الرُّؤْيُ
وَتُطَلُّ مِنْ عَالَمِهَا البَعِيدِ حَانِيَةً، وَتَبْرُزُ عَلَى لَوْحَةِ الحَيَاةِ الصُّورُ
الوَاسِعَةُ المَشْرِقَةُ الَّتِي تُنِيرُ الأَرْجَاءَ وَتُرْخِي الأَضْوَاءَ، وَتَعِيدُ سِيرَةَ القَائِدِ
الخَالِدِ كعَظِيمٍ مِنْ عَظَمَاءِ الأُمَّةِ وَعَبْقَرِيٍّ مِنْ عِبَاقِرَةِ الحِكْمَةِ.

وَحِيرَةٌ العَالَمِ فِي مَكَامِنِ دَوْرِ سورِيَةِ الأسدِ رَاجِعَةٌ لَأَنَّهم يَتَفَكَّرُونَ
فِي مَشَاهِدَ لِدَوْرٍ لَهُ مِنْ المَنَاقِبِ الكَثِيرِ الكَثِيرِ...

حَقًّا إِنَّهُ الدَّورُ الَّذِي أَصْلَحَ اللُّوَاءَ فِي الأَرْضِ، فَقد اِمْتَازَ الدَّورُ
السُّورِيُّ عَنِ البَقِيَّةِ فِي هَذَا الزَّمَنِ بِفِطْرَتِهِ وَشَخْصِيَّتِهِ الَّتِي لَا تُزَعِزُهَا
الأَهْوَالُ وَلَا تُرَوِّعُهَا مَقَارَعَةُ الخُصُومِ، لِأَنَّهُ دَوْرٌ جَامِعٌ أَخَذَتْهُ جَذْبَةُ إلهِيَّةٍ
أَزَالَتْ مِنْهُ كُلَّ مَعَالِمِ الضَّعْفِ، فَهُوَ تَمَثِيلٌ لِلحَقِّ، لِأَنَّ الحَقَّ عِنْدَ قَائِدِهِ
هُوَ الغَايَةُ وَإِلَيْهِ سَوفَ تَكُونُ النِّهَايَةُ، وَقد عَبَّرَ عَن ذَلِكَ القَائِدُ بِمِشَارِ الأسدِ
بِقَوْلِهِ: (إِنَّنِي لَا أَسْعَى إِلَى مَنَصِبٍ وَلَا أَهْرَبُ مِنْ مَسْئُولِيَّةٍ، فَالْمَنَصِبُ

ليس هدفاً بل هو وسيلة لتحقيق الهدف... إنني تبوّأت هذا المنصب ولكنني لم أتبوّأ الموقع، أي أنّ المنصب تبدّل لكنّ الموقع بقي ذاته ولم يتغيّر منذُ خُلقتُ، وذلك حيثُ أرادني الله سبحانه وتعالى أن أكون... فالمنصب لا يعطي المسؤولية بل العكس هو الصحيح).

لذلك فإنّ القائد بشار الأسد بمسؤوليته يبحث عن حلول لكلّ المعضلات التي تعترض طريقه من أجل الأفضل، وبموازاة بحثه وسعيه في هذا الطريق، يمهد الطريق لاكتشاف المجهولات بنحو أفضل وأوسع. إنّ رحلتنا مع الدور السوري تنطلق من تقديرنا لهذا الدور الملهم الذي بدأ به القائد الخالد بذكرى تعبق بالشذى والعواطف لقيادته التاريخية، لأنّه يُعبّر عن صرخة قوية انتصاراً للحق وتثبيتاً للمبادئ العليا. أجل، إنّه لا يمكن تجاهل الأبعاد غير المتناهية لروح الدور السوري وقدرته في مسيرة الكمالات والفضائل بالكمال الإمكاني فكرياً وروحياً، فالعناية الإلهية جعلت من الدور السوري المثال الحق في كلّ غاية كريمة امتداداً للخالد، وهذا ما لخصه القائد بشار الأسد في قوله: (القائد الخالد قد هياً لنا أرضية صلبة وأساساً متيناً وتراناً عظيماً من القيم والمبادئ).

وفي هذا الشأنِ كانَ الدَّورُ السُّوريُّ منَ الأدوارِ العظيمةِ، ومن حُماةِ حريمِ المبادئِ والقيمِ، فَوَحَّدَهُ الذي جعلَ الصُّمُودَ الطَّوِيلَ المتواصلَ هدفًا، وأخذَ بناصيةَ الحقوقِ بما ينسجمُ معَ نورِ العقلِ ونداءِ الفطرة. وإنَّ ما سيخلِّدُهُ التاريخُ لهذا الدَّورِ من مفاخرٍ وقيمٍ ساميةٍ حقيقيَّةٍ هوَ في الحقيقةِ ثمرةٌ من ثمارِ مسيرةِ التَّضحياتِ خلالَ صراعِ المراحلِ.

وهكذا نشرَ القائدُ بشارَ الأسدِ ظلالَهُ على أوسعِ سطوحِ الصِّراعِ بوجودِ فلسفتهِ التي سَتُكتَبُ في التاريخِ، لأنَّه منَ الذينَ وَضَعُوا نُظْمًا واقعيَّةً شاملةً أمَّنتْ حاجاتِ الأممِ، فهو مستمسِكٌ بالعروةِ الوثقى والمَحَجَّةِ العُظمى، وهو منَ أكرمِ مَنْ سَلَكَ النَّجوى، لأنَّه الشُّجاعُ ذو النَّجدةِ الذي لنَ يَذْكَرَ التاريخُ إلاَّ ثُلَّةً مِمَّنْ يُعادِلُهُ ويُدانيهِ، فيه قامَ عَمودُ الصِّراعِ، إذ لمَ يترَفَعْ يومًا عن حقِّ قَطٍّ، ولمَ يهوَ إلى باطلٍ قَطُّ. ومهما كانَ، فليسَ الغرضُ الثَّنَاءُ فقط، وبيانُ الامتيازِ، ولكنَّهُ المقياسُ الذي يُقاسُ بهِ في هذا الزَّمنِ، لأنَّ دورَهُ تمثَّلَ بالقوَّةِ الثَّائرةِ، إذ أبى إلاَّ التَّحليقَ في مواطنِ الصُّمُودِ، فظلَّ مثلاً يتلألُ ورأئداً سيدخلُ في سجلِّ الخالدينَ الذينَ قلَّما يتكرَّرونَ. وعلى هذا يمكنُ القولُ: إنَّه حقًّا أسطورةٌ واقعيَّةٌ في هذا الزَّمنِ.

عبقرية الدور السوري:

من الواجب الإشارة لشرفِ عبقريةِ الدَّورِ السوريِّ الذي خرَّقَ صوتهُ صِيَتَ الأَمصارِ وتشرَّفَتْ بهِ عُمومُ الأقطارِ، واشتهرتْ عبقرِيَّتُهُ كالشَّمسِ في ضاحيةِ النَّهارِ، فهو دورٌ نرفعُ رؤوسنا بهِ في كلِّ زمانٍ، ونفخرُ بسامي عبقرِيَّتِهِ أَنَا بعدَ آنٍ.

إنَّ النَّاظِرَ والمُتأملَ في معاني لآلِي عبقرِيَّةِ الدَّورِ السوريِّ بما خَزَنَ في طِيِّ سَطورِهِ من جواهرِ كُنوزِهِ البَاهرةِ، يجدُها مجمعَ علومٍ تقصُرُ عن تناولِها الأَقلامُ، فهي روضةٌ أزهارِ معارفِ الواقعِ والمستقبلِ، كيفَ لا وهي المقتبسةُ من مشكاةِ العقلِ الكُلِّيِّ؟

وقد شكَّلَ القائدُ بشارُ الأسدُ نقلةً نوعيَّةً وتراثًا ضخماً أثرَ على جميعِ الصِّراعاتِ في المنطقةِ، ومهما كثُرَتِ الكُتُبُ والمؤلَّفاتُ ستبقى قليلةً بالنِّسبةِ إلى حجمِ ما حصلَ، لأنَّ دورَهُ من أدوارِ الذين يفخرُ التَّاريخُ بمفاخرِهِم، إنَّه الدَّورُ الجامعُ لكهفِ ذوي الألبابِ، الحاصلُ في أصدافِ الكلماتِ العالِياتِ مِن لآلِي الأُصولِ الحَقَّةِ أثمِنَها وأغلاها، ومنَ مخازِنِ تلكَ العباراتِ التي نَسَمَعُها كُلَّ فترةٍ كجواهرِ للحقائقِ أسناها وأبهاها، فهو الدَّورُ الذي يعطي كلَّ موقفٍ حَقَّهُ رغمَ اختلافِ الدَّواعي والبواعِثِ.

إننا نجدُ الدَّورَ السُّوريَّ يفيضُ بالمعارفِ الحَقِيقِيَّةِ والتَّحليلِيَّةِ،
وتحارُّ فيه الأسماعُ الخائضةُ في المعطياتِ العَصْرِيَّةِ، لأنَّه يلتقي مع
الفكرِ السَّامي ويرتقي به ليوصله إلى أوجِ مُرتقاه.

لقد تَفَرَّدَ هذا الدَّورُ بما يُدهِشُ اللبَّ ويبهرُ القلبَ، وسَمَّا إلى
المنزلةِ التي يقصرُ عن الاطِّلاعِ عليها الكثيرُ من الأُفهامِ، لأنَّه لا يشبهُه
اليومَ شيءٌ من أدوارِ غيره، لأنَّه دورٌ له مقاصدُ دقيقةٌ وحقائقُ ساميةٌ.
فالقولُ الحقُّ عندَ الدَّورِ السُّوريِّ حقٌّ، سواءَ أنكره الآخرونَ أو
عرفوه، والقولُ الباطلُ باطلٌ، سواءَ قبلوه أو رَفَضُوهُ.

وبذلك بلغَ الدَّورُ السُّوريُّ منْ ضروبِ المآثرِ والفضائلِ ما وطَّأ له
سِنَامَ الامتيازِ، فقد تميَّزَ بقوةِ العزيمةِ وعُلُوِّ المهجةِ وصحَّةِ الرَّأيِ ونفاذِ
البصيرةِ وتوقدِ الدَّهنِ، وكانَ سيِّدَ المواقفِ، فمَنْ عرفه في الأزْمانِ عَرَفَ
العَبْقَرِيَّةَ والشُّموخَ والعِزَّةَ رَغْمَ المصاعِبِ والرِّيحِ العاتِيَةِ التي واجهها
جَبَّاراً وغالبها شجاعاً.

إنَّه يمثِّلُ الدَّورَ الفَدِّ الذي سَطَّرَ ملاحِمَ الحضارةِ المُتألِّقةِ ليرسَمَ
في مخيِّلَتِنَا تلكَ الصُّورَ الرَّائِعَةَ بإشعاعِهِ الفكريِّ الرفيعِ، مندهشينَ
بعبقريَّتهِ المشرقةِ الرَّائدةِ.

فَذَكَرُ عِبْقَرِيَّةِ الدَّوْرِ السُّورِيِّ تُحَرِّكُهُ عَجَلَةُ الزَّمَنِ، فَكَلَّمَا اَزْدَادَ
تَأَلَّقُ وَجُودِهِ وَتَنَامَى وَهَجُهُ اتَّسَعَتْ مَسَاحَةُ ظِلِّهِ كَأَنَّهُ جَوْهَرَةٌ نَادِرَةٌ
مَحْمَلَةٌ بِأَنْفُسِ اللَّالِيِّ وَالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي يَشْتَدُّ لَمَعَانُهَا.
وَدَعْوَةٌ عِبْقَرِيَّةِ الدَّوْرِ السُّورِيِّ ذَاتُ الْأَبْعَادِ الثَّلَاثَةِ وَوُجِدَتْ فِي
العَالَمِ كَدَعْوَةِ أُسَاسِيَّةٍ سَادَتْ وَهَيَمَنْتْ عَلَى خَلَجَاتِ الضَّمَائِرِ وَخَطَرَاتِ
الْقُلُوبِ فِي الْمُنْطَقَةِ.

وَلَمْ تَكُنِ الْعِبْقَرِيَّةُ - الَّتِي فَجَّرَهَا الدَّوْرُ السُّورِيُّ كَدَوْرٍ مِنْ أَدْوَارِ
الْحَقِّ أَمَامَ حَيْرَةٍ وَدَهْشَةٍ أَنْظَارِ الْعَالَمِ - مُجَرَّدَ حَرَكَةٍ بَدَائِيَّةٍ، بَلْ هِيَ
حَالَةٌ شَعْبِيَّةٌ مَثَّلَتْ قَبْلَ ذَلِكَ انْبِعَاثًا ثَقَافِيًّا وَأَخْلَاقِيًّا دَعَا الْإِنْسَانَ
العَرَبِيَّ الْمَعَاصِرَ لِلْعَثُورِ عَلَى فِطْرَتِهِ.

فَفِي كَلَامِ الْقَائِدِ بَشَارِ الْأَسَدِ مَا يَتَنَاسَبُ مَعَ مَقْدَارِ عَظَمَةِ
الْهَدَفِ فِي هَذَا الدَّوْرِ وَقِيَمَتِهِ وَعَلُوِّ مَرْتَبَتِهِ، وَهَذَا أَعْلَى وَأَسْمَى وَأَثْمَنُ
هَدَفٍ وَمَقْصِدٍ طُرِحَ وَيُطْرَحُ، وَبِذَلِكَ كَانَ لِعِبْقَرِيَّةِ هَذَا الدَّوْرِ مَعْنَاهَا
الْوَاسِعِ كَعَقِيدَةٍ بِأَبْعَادِهَا السَّامِيَّةِ لِأَنَّهَا أُسَاسُ الصُّمُودِ وَغَايَتِهِ فِي كُلِّ
آفَاقِ الْوُجُودِ الْكُونِيِّ، وَهَذَا الْهَدَفُ مُتَجَلٌّ فِي الْمَعَانِي وَالْأَبْعَادِ.

إِنَّهُ دَوْرٌ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِالْحِكْمَةِ فَقَطْ، وَالْمَوْضُوعُ لَيْسَ تَجْرِبَةً
فَقَطْ، وَيُخْطِئُ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ التَّارِيخَ فِي مَدْرَسَةِ الْقَائِدِ بَشَارِ الْأَسَدِ يَتَقَدَّمُ

عبرَ انكساراتٍ وخيباتٍ، لأنَّ الخطَّ المستقيمَ لا يقبلُ التَّعَرُّجَ ولا الالتواءَ.

فدورُ القائدِ بشارِ الأسدِ لا يُعتبرُ ممارسةَ السِّياسةِ وتَسَلُّمَ مقاليدِ الحكمِ هَدَفًا بحدِّ ذاته، بل يَضَعُ نصبَ عينيه أن يخرجَ من ساحةِ الصِّراعِ مُنتصراً.

وإنَّ استعراضاً سريعاً لواقعِ الدَّورِ السُّوريِّ يُظهِرُ بوضوحٍ احتواءَهُ على نُظُمٍ واقعيَّةٍ شاملةٍ تُغَطِّي حاجاتِ الأُمَّمِ، وهذا بحثٌ يتجاوزُ حدودَ هذا الكتابِ.

ولكن لا بدَّ من الاهتمامِ بعبقريةِ الدَّورِ السُّوريِّ ذي الأبعادِ اللَّامتناهيةِ الحاكمِ بكلِّ اقتدارٍ خلالَ عِدَّةٍ مِنَ السِّنِّينِ، لأنَّ هذهِ العبقريةَ انهمرتْ مِنْ كُلِّ النَّوْافِذِ، فامتدَّتْ جُدُورُهَا إلى أبعدِ أغوارِ الضَّمائرِ والنُّفوسِ وحَقَّقَتْ ما يلي:

١. نشرُ دورِ الصُّمودِ السُّوريِّ في العالمِ، حتَّى أصبحَ النَّاسُ يَتَفَيَّوونَ ظلالَهُ طواعيةً ويمدُّونَهَا فوقَ الآخِرِينَ نُصْحًا، وكانَ ظلالَ عِبقريةِ تمتدُّ باندفاعِ التِّيَّارِ الذي لا يَتَوَقَّفُ ولا يَتَرَدَّدُ في تَقَدُّمِهِ، حتَّى تنتهي إلى بناءِ دورِ سوريٍّ يَتعمَّقُ مِنَ التَّاريخِ، وهو ما عبَّرَ عنه السيدُ الرَّئيسُ بشارُ الأسدُ بقوله في كلمته التَّوجيهيةِ أمامَ مجلسِ الوزراءِ

بتاريخ ١٦ نيسان ٢٠١١: (أتمنى أن نتمكن جميعاً أنا وأنتم وكلُّ مسؤولٍ في هذه الدَّولةِ من التَّعبيرِ عن سوريَّةٍ.. سوريَّةِ الشَّامخةِ التي تتَموضَعُ في قلبِ أمَّتِها العربيَّةِ وفي جوهرِ حياتِها، ونُعبرُ فعلاً عَمَّا تُوصَفُ به بلدنا.. قلبُ العروبةِ النابضِ).

٢. العملُ على تأمينِ حاجاتِ المنطقةِ بشكلٍ كاملٍ وموضوعيٍّ يُطمئنُهُم إلى سلامَتِهِم في ظلِّه بوضعِ قواعدٍ واسعةٍ تستمدُّ جُذورهاَ وحيويَّتها من الواقعِ لا من الخيالِ، حتَّى تستطيعَ التَّفاعَلُ مع الأحداثِ الجديدةِ، وهذا ما عبَّرَ عنه القائدُ بشار الأسدُ بقوله في خطابه أمام مجلسِ الشعبِ بتاريخ ٣٠ آذار ٢٠١١: (علينا أن نتجنبَ إخضاعَ عمليَّةِ الإصلاحِ للظروفِ الآنيَّةِ التي قد تكونَ عابرةً لكي لا نحصدَ النَّتائجَ العكسيَّةَ.. فإصلاحنا اليوم يجبُ أن يعكسَ عشرَ سنواتٍ للخلفِ وعشرَ سنواتٍ للأمام، لا أن يعكسَ هذه المرحلةَ ولا الموجةَ في الخارجِ ولا الموجةَ في الدَّاخلِ).

٣. توفيرُ الأمانِ بتضافرِ أسلوبٍ مميِّزٍ يحظى بأفضلِ دورِ تحليليٍّ أكَّدَ عليه القائدُ بشار الأسدُ بقوله في خطابه: (الأولويَّةُ الأهمُّ هي استقرارُ سوريَّةِ، والأولويَّةُ الثانيةُ هي الحالةُ المعاشيَّةُ).

وهذا هو هدفُ عبقريةِ الدَّورِ الذي يُبرِّرُ تحمُّلهُ في سبيلِ تمكينِها
أصعبَ المستوياتِ.

وليستْ هذهِ الأحداثُ التي تبدو غريبةً هي صدفةٌ، بل هي
نتائجُ لعبقريةِ الدَّورِ السُّوريِّ، ولأنَّ تاريخَ الشَّرْقِ الأوسطِ تاريخُ بركانٍ
فقد كانَ للدَّورِ السُّوريِّ العبقريةُ في تحدِّيهِ لكلِّ القيمِ المعاديَّةِ.

ولازلنا نواصلُ الحديثَ عنِ عبقريةِ الدَّورِ السُّوريِّ، إذُ أريدُ لهُ
أنْ يكونَ لهُ مميَّزاتٌ عنِ الآخرينَ في المهمَّاتِ الكبيرةِ، فاستطاعَ القائدُ
بشار الأسدَ الانتقالَ بسوريةَ لموقعِ عبقريةِ القوَّةِ التي حطَّمتِ الحواجزَ
وأسقطتْ روحَ الهزيمةِ، فكانَ هذا الأسلوبُ حركةً واقعيَّةً.

ولذلكَ كانتِ عبقريةُ الدَّورِ في رفضِهِ كلِّ الدَّعواتِ المغريةِ موضعَ
تساؤلٍ واستغرابٍ، على الرَّغمِ من كلِّ محاولاتِ التَّريغيبِ والتَّرهيبِ،
فلمْ يتزحزحْ القائدُ الأسدَ عن موقفِهِ الرَّافضِ للخضوعِ، ولمْ يهتزَّ في
موقعِهِ بفعلِ التَّهديدِ، بلُ بقيَ صامداً قوياً كالجبلِ الأشمِّ، فلمْ تأخذهُ في
اللهِ لومةٌ لائمٌ للقيامِ بهذهِ المسؤوليَّةِ العظمى بتلكَ الكفاءةِ والمقدرةِ، كيفَ
لا وهوَ المرتديُّ هذهِ الحلةِ ليكونَ أهلاً للنُّهوضِ بهذهِ الأعباءِ الباهظةِ.

فعبقريةُ الدَّورِ السُّوريِّ بالعملِ، وإحاطتُهُ بما يحدثُ، وقدرتُهُ
على تَعميمِ قَناعاتِهِ للدَّانِي والقاصِي والحاضرِ والبَادِي، مِنْ أُسُسِ هذهِ
المرحلةِ العامَّةِ كقاعدةٍ لزوميَّةٍ لتطبيقِ تلكَ الحكمةِ.

وتُظهِرُ عبقريةَ الدَّورِ السُّوريِّ للأُمَّةِ تلكَ القويَّ القدُسيَّةَ والحكمةَ
الرَّبَّانيَّةَ، إذْ أقامَ الحُجَجَ النَّيرةَ والبراهينَ العقليَّةَ على أحقيَّته. فكيفَ
ظهرتْ تلكَ الموهبةَ العُظمى؟

وجملةُ القولِ: إنَّ عبقريةَ هذا الدَّورِ ضروريَّةٌ للأُمَّةِ، وقدْ ظهرَ
من خلالِ كلامِ القائدِ بشارِ الأسدِ في هذهِ المدَّةِ الوجيزةِ من الحكمِ ما
أدهشَ العقولَ وحيرَ الألبابَ، وإنْ كانَ غيضًا من فيضٍ.

ولا شُبُهَةٌ في أنَّ عبقريةَ الدَّورِ السُّوريِّ هي الأبلغُ في المثاليَّةِ
والأفضلُ في الصِّفاتِ والأجملُ في الخصالِ، فقدْ عرفنا عن هذا الدَّورِ
المثاليَّةَ على الطُّرازِ الأعلى والسَّنامِ الأرفعِ، فهوُ الغرَّارُ الأفضلُ
للتَّمثيلِ، والطُّرازُ الأتمُّ للتعريفِ.

ولمَّا كانت عبقريةُ الدَّورِ السُّوريِّ عاليةً لم تكنْ دخائلُ الأمورِ
وخباياَ الزَّوايا لتخفى عليه، فلمْ يغتَرَّ بالظَّاهرِ، ولمْ يفتتنْ بالبيانِ
الشكليِّ، لذلكَ التُّمسَّتْ آثارُ هذهِ العبقريةِ وسُمِعَتْ أخبارُها، فكيفَ
تخفى مثلُ هذهِ الخِلَّةِ العظيمةِ؟

وهذهِ كلماتُ القائدِ بينَ أيدينا تُعطينا مثلاً صالحاً لعبقريةِ
الدَّورِ، وتشهدُ لها الأفعالُ والأقوالُ والآثارُ والأخبارُ، وفي حكمِ العقلِ
دلالةٌ كافيةٌ وبرهانٌ نيرٌ.

حكمة الدور السوري:

إنَّ البرهانَ العقليَّ دَلَّ على حاجةِ المنطقةِ الماسَّةِ إلى وجودِ الدَّورِ السوريِّ الحكيمِ فيها، وجاءتِ الأفعالُ والأقوالُ للدَّورِ السوريِّ وفقَ الدَّلالتينِ مِنَ العقلِ والنَّقْلِ، فإذا وجبَ هذا كُلُّهُ وجبَ أن يكونَ للدَّورِ السوريِّ جميعُ الصِّفاتِ القويَّةِ، وأن يكونَ جامعًا لصفاتِ الفضلِ ممتازًا بها.

ومن تلك الصِّفاتِ (الحكمةُ) وهذا ممَّا لا ينبغي الرِّيبُ فيه، وإنَّما الذي يلزمُ البحثُ عنه في هذا: هل الدَّورُ السوريُّ على نحوِ التَّفصيلِ أم الإجمالِ؟

إنَّ ما يدلُّ عليه العقلُ وجوبُ أن تكونَ القيادةُ للأحكم، لأنَّ هذا من شؤونِ القيادةِ الحكيمةِ ولوازمِها، فحكمةُ الدَّورِ السوريِّ من بعضِ صفاتها التي تتَّصفُ بها.

وقد أردنا أن نلتقِطَ من حكمةِ عُقودِها بعضَ الكلماتِ والالئِ، فالحكمةُ العظيمةُ لدورِ سوريةِ الأسدِ أجلُّ قدرًا وأعظمُ شأنًا وأعلى مكانًا وأمنعُ جانبًا وأبعدُ غورًا من أن يبلغها الأعداءُ بعقولهم، أو ينالها الخصومُ بأرائهم.

عقلانية الدور السوري:

العقلانية رحمةٌ مهداةٌ لمن هو التفاتةُ السماءِ إلى الأرضِ. إنها سورية الأسد التي كملت فيها إشراقةُ السماءِ وحيويةُ الأرضِ، فأصبحتْ مُزوَّدةً بطاقتين: طاقةٌ تلتقي بها التفاتةُ السماءِ، وطاقةٌ تُوزعُ بها التفاتةُ السماءِ إلى الأرضِ، ولما التقى فيها جهازُ الاستقبالِ بجهازِ الإرسالِ أصبحتْ قادرةً على تحمُّلِ المسؤوليةِ التكوينيةِ، ذلكَ أنَّه لما أُوجدتِ الأرضُ التفتتْ إليها السماءُ مرَّةً التفاتةَ الإشراقِ، فكانَ العقلُ، وهكذا امتزجتِ الأرضُ بالعقلِ عندَ دورِ سوريةِ الأسدِ، فالتفتتْ إليها السماءُ مرَّةً ثانيةً التفاتةَ الاستمرارِ فكانَ وجودُ القائدِ بشارِ الأسدِ.

فهنالكَ أرضيةٌ لتجربةِ الصراعِ بينَ الأرضِ والعقلِ، إذ إنَّ دورَ سوريةِ الأسدِ بالجسدِ يُلبِّي نداءَ الأرضِ، والعقلُ يستجيبُ لهتافِ السماءِ، وسوريةٌ بينَ هاتينِ الجذبتينِ تخوضُ تجربةَ التَّكليفِ، فتعيشُ على الأرضِ في قُربِ كبيرٍ للسماءِ، تلبِّي بالجسدِ نداءَ الأرضِ إلى مُستوى الضَّرورةِ في الوقتِ الذي يَستطيعُ العقلُ أنْ يرفعَ لها هتافَ السماءِ إلى مستوى الكمالِ، فالعقلُ لهُ عندها مددٌ من السماءِ يساعدها على رفعِ هتافِها من مستوى الضَّرورةِ إلى مستوى الكمالِ.

ومع وجود هذا المدد السماوي، يُصدّق قائدُ الدّورِ العقلَ، ويؤيّدُ العقلُ القائدَ.

فالدّورُ السورِيُّ هو القدوةُ، إذ تُعتَبَرُ كلُّ كلمةٍ تصدرُ منه قانونًا، لأنّه كان راسخًا في الصُّمودِ وأصيلًا في الفكرِ، يحتوي على مدلولٍ ضخمٍ، وأضحى من كلِّ ما يمكنُ تصوُّره في مثلِ هذا المجالِ، لأنّه يعرضُ كلَّ كلمةٍ صدرتْ أو تصدرُ منه، ولكنّ الذي نطقَ به بالمدلولاتِ الكبيرة كان واثقًا من أنّه ينطقُ بلسانِ الحقِّ.

هذا البيانُ الموجزُ البسيطُ عرّضَ لكمالِ وفلسفةِ عقلانيّةِ الدّورِ السورِيِّ، وتحديدُ لمكانةِ كلِّ منهما مع بعضهما.

وهنا نحاولُ إثباتَ المقامِ العظيمِ للدّورِ السورِيِّ بما هو هدايةٌ إيصاليةٌ، ولكن عندَ ذكره لا بد من أن نتطرّقَ إلى المقامِ الآخرِ الذي أغفله الآخرونَ، والذي يمكنُ التعمُّقُ فيه من خلال:

١. القوى الروحيّة.

٢. القوى الإدراكيّة.

٣. القوى العمليّة.

ونضيفُ هنا: كيفَ يُمكنُ أنْ تَنْزَلَ الإِرَادَاتُ وَالْمَشِيئَاتُ
المَحَقَّةُ؟ والجوابُ: إِنَّ هَذَا غَيْرُ مَمَكِنٍ إِلَّا لِمَنْ كَانَ صَاحِبَ مَدَارِحَ
رُوحَانِيَّةٍ وَإِدْرَاكِيَّةٍ لَا يَسْتَطِيعُ الضَّعِيفُ النُّفُودَ إِلَيْهَا.

فالمشهدُ الأوَّلُ هُوَ مشهدُ التَّفَاتَةِ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ التَّفَاتَةَ
الإِشْرَاقِ، وَفِي هَذَا المَشْهَدِ الرَّائِعِ يَتِمُّ وَضْعُ الحِمَايَةِ وَتَحْدِيدُ الدَّوْرِ،
والتَّوَجِيهُ إِلَى الوَجهَةِ الَّتِي يَخْتَارُهَا الحَقُّ، وَمَا دَامَ لِسُورِيَّةِ الدَّوْرِ
العَقْلَانِيُّ فَلَا أَوْلَى مِنْهَا بِتَحْمُلِ الدَّوْرِ.

ولهذا المَشْهَدِ جَانِبَانِ: الأوَّلُ تَقْرِيرُ الدَّوْرِ السُّورِيِّ لِحُكْمِ العَقْلِ،
وَالثَّانِي تَقْرِيرُ العَقْلِ لِحُكْمِ الدَّوْرِ السُّورِيِّ، وَيُظْهِرُ الجَانِبُ الأوَّلُ فِي
قَاعِدَةٍ ثَابِتَةٍ يُعْتَمَدُ عَلَيْهَا فِي اسْتِنْبَاطِ القَرَارَاتِ فِي الأَزْمَاتِ.

إِنَّ عَقْلَانِيَّةَ الدَّوْرِ السُّورِيِّ هِيَ نَفْحَةٌ مِنْ رُوحِ الحَقِّ تَتَمَثَّلُ فِيهَا
إِشْرَاقَةُ السَّمَاءِ، وَيَتَجَسَّدُ فِيهَا شَمُوحُ السَّمَاءِ وَسُبُحَاتُ السَّمَاءِ. وَسُورِيَّةُ
الأَسَدِ إِشْرَاقَةٌ خَالِصَةٌ تَرْفَرُ طَلِيقَةً مِنْ قِيُودِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَهِيَ
مَزِيجٌ مِنَ الضَّرُورَةِ وَالإِشْرَاقَةِ. فَالآخَرُونَ يَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الطِّينُ فَتَظْهَرُ
عَلَيْهِمْ كَثَافَةُ الأَرْضِ، أَمَّا القَائِدُ الأَسَدِ فَيَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الرُّوحُ فَتَظْهَرُ عَلَيْهِ
شَفَافِيَّةُ السَّمَاءِ.

هذه الصياغة تُوضِّحُ كثيرًا، حيثُ أنَّ الدَّورَ السَّوريَّ ركَّزَ على
أنَّ لقادة الصُّمُودِ مقامٌ ملكوتيٌّ يُوجبُ بمقتضاهُ التَّصرُّفَ والسَّيرَ من
منزلةٍ إلى منزلةٍ معنويَّةٍ أعلى.

ومنَ المعروفِ بالدَّليلِ الفطريِّ أنَّ كلَّ فطرةٍ بشريَّةٍ تَجِدُ في
أعماقِها انجذابًا فطريًّا نحوَ الكاملِ، وهذا الانجذابُ هوَ الباعثُ
والمحرِّكُ.

فإذا عرفنا أنَّ الحياةَ حلبةٌ تُعاني صراعًا عنيفًا، وأنَّ هذه
الحياةَ في هذه اللوحةِ ملحمةٌ تشهدُ صراعًا مُعلنًا عنه بينَ الحقِّ
والباطلِ، فقد تألَّبتُ قوى الخيرِ لنجدةِ عنصرِ السَّماءِ، وتألَّبتُ قوى
الشرِّ لنجدةِ عنصرِ الباطلِ في مواجهةٍ مُحتدِّمةٍ، وكانَ لأبدٍ من أنْ
ينتصرَ أحدُ الجانبينِ بعدَ أمَدٍ.

وسورية الأسدِ هي التي تنتصرَ، لأنَّ في قلبها جانبُ الحقِّ،
فهِيَ طوعَ إرادةَ الحقِّ والخيرِ، لا تتجاوزها ولا تحيدُ عنها.

فما أجلُّ هذه اللوحةَ وأجلاها! منَ واحةٍ تتواكبُ فيها قوافلُ
التَّعابيرِ الغنيَّةِ بفلسفةِ دورِ سورية الأسدِ في صورةٍ بارزةٍ تحفلُ بكلِّ ما
في الحقيقةِ منَ صفاءٍ، وما في الواقعِ منَ عمقٍ ووضوحٍ، وتُظهِرُ أخوةَ
العقلِ والقائدِ الصَّامِدِ في المنطلقِ والمسيرِ والهدفِ، فكلَّهما التفتاةُ

السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ لانتِشَالِ الْوَاقِعِ مِنْ ثِقَلِ الشَّرِّ وَعَتَمَتِهِ، وَكِلَاهُمَا يَشْتَرِكَانِ فِي الصَّرَاحِ ضِدَّ رَغَائِبِ الْبَاطِلِ لِمَنْعِهِ مِنَ السَّيْطَرَةِ.

فَمَنْ الطَّبِيعِيُّ أَنْ يُقَرَّ دَوْرُ سُورِيَةِ الْأَسَدِ بِكُلِّ مَا حَكَمَ بِهِ الْعَقْلُ، وَأَنْ يُقَرَّ الْعَقْلُ بِكُلِّ مَا حَكَمَ بِهِ الدَّوْرُ، لِأَنَّهُمَا يُؤَدِّيَانِ رِسَالَةً وَاحِدَةً هِيَ التَّوْجِيهِ إِلَى الْحَقِّ، فَمِنْ غَيْرِ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَخْتَلِفَانِ.

وَهَذَا الْاِتِّفَاقُ بَيْنَ الْعَقْلِ وَالدَّوْرِ يَنْقَلِبُ إِلَى سِلَاحِ ذِي حَدَّيْنِ لَا يُشَكِّكُ فِي فَاعِلِيَّةِ الْعَقْلِ وَصَدَقَ سُورِيَةُ الْأَسَدِ مَعًا، وَإِنْ تَمَّ فَإِنَّهُ يَكُونُ دَلِيلًا ذَا دَلَالَتَيْنِ: الْأُولَى فَاعِلِيَّةُ الْعَقْلِ إِلَى دَرَجَةِ اعْتِمَادِ السَّمَاءِ عَلَيْهِ، وَالثَّانِيَّةُ صَدَقَ سُورِيَةُ الْأَسَدِ إِلَى دَرَجَةِ اعْتِمَادِهَا عَلَى الْعَقْلِ.

وَلَوْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الطَّاقَاتُ كَرِيمَةً سَابِقًا لَمَا وَضَعَهَا اللَّهُ فِي سُورِيَةِ الْأَسَدِ، فَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا هَدَفٌ تَسْعَى بِوَعْيِهَا الْكُونِيَّ إِلَى تَحْقِيقِهِ، غَيْرَ أَنْ ثِقَلَ الْبَاطِلِ وَاهٍ مَهْمًا حَاوَلَ جَرْفَهَا عَنْ اتِّجَاهِهَا الصَّحِيحِ إِلَى خَطِّ الْهَبُوطِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى اصْطِدَامِهَا بِغَيْرِهَا فِي فَوْضَى تَشْلُهَا عَنْ حَرَكَتِهَا الرَّسَالِيَّةِ.

وَقَدْ بَدَلَ الْقَائِدُ بَشَارُ الْأَسَدِ جُهْدًا لِلتَّرْكِيزِ عَلَى الْحَقِيقَةِ يَتَكَرَّرُ بِأَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي لُوحَاتٍ كَثِيرَةٍ الْغِنَى وَكَبِيرَةٍ الْعُمُقِ.

وبتعبيرٍ آخرَ إنَّ هذه الأدلَّةَ ليست أدلَّةً خطابيَّةً، بل هي برهانيَّةٌ في آنٍ واحدٍ؛ أي أنَّ إدراكها يحتاجُ إلى مُقدِّماتٍ فكريَّةٍ من المعاني الحسوليَّةِ، وإلى ذائقةٍ قلبيَّةٍ كي يُدرَكَ كنهُ تلك الأدلَّةِ، ففيها مطالبُ أردنا الإشارةَ إليها بأنَّ هذه الأدلَّةُ تُدَلُّ على أنَّ الأصولَ تقودُ إلى عقلائيَّةِ الدَّورِ السوريِّ.

ويذكرُ التَّاريخُ أنَّ السوريينَ وضعوا الحلولَ النَّاجعةَ لكثيرٍ من المُعضلاتِ التي ابتليتْ بها الأُمَّةُ. وهكذا في مُعالجتها للمشكلاتِ التي انتقلتْ إلى الأُمَّةِ من الآخرين.

وحيازةُ الدَّورِ السوريِّ على الرِّيادةِ في الصِّفاتِ الكماليَّةِ، إنَّ كان اتِّفاقاً، يعني أنَّ وجودَ تلك الصِّفاتِ فيها لم يكنْ من بابِ الصُّدفةِ، بل إنَّ هذا يدلُّ على عنايةٍ إلهيَّةٍ وإفاضةٍ ربانيَّةٍ جعلتهُ مُتصفاً بتلك الصِّفاتِ طيلةَ تلك السِّنِّينِ المُتعاقبةِ، والتي شهدتْ أعداءَ عدَّةٍ حاولوا النَّيلَ منه بشتَّى الطرقِ والوسائِلِ.

وخلاصةُ ما سبقَ أنَّ سوريَّةَ الأسدِ بعنصرِ دورها تتوجَّهُ إلى الأهدافِ الأصيلَّةِ، وبالرباطِ العامِ تضمُّ مجموعةَ الأفكارِ التي تَضَعُها تحتَ تصرُّفِ العقلِ للمسيرِ المُستقيمِ في الصِّراعِ بينَ الحقِّ والباطلِ.

حماية الدور السوري:

قَدْ نَسْتُوحي اللُّطْفَ الإلهيَّ الَّذِي أَعَدَّهُ اللهُ فِي حَمَايَةِ دُورِ سوريَةِ الأَسَدِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَجْتَنِبَها إِلَيْهِ لِيُدْخَلَها المِسيْرَةَ، لِتَكُونَ واحِدَةً مِنْ هَذِهِ السُّلْسَلَةِ المِبارَكَةِ، وَلَكِنْ بِطَريقَةٍ أُخْرى وَأَسلوبٍ آخَرٍ وَوسيلةٍ مميّزَةٍ.

وهكذا تَمَّتِ النُّعْمَةُ على سوريَةِ الأَسَدِ، بِمَا غَمَرَ شَعْبَها بِهِ مِنْ لُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَبِما فَتَحَهُ لَها مِنْ أَبوابِ الخَيْرِ وَأَنْزَلَهُ عَلَيْها، وَبِما أَخْرَجَها مِنْهُ مِنْ ضيقٍ وَعَسْرِ، وَخَصَّها بِهِ مِنْ كِرامَةٍ وَدرجَةٍ وَموقِعٍ.

وَمِنَ النُّعْمَةِ على القائِدِ الأَسَدِ أَنَّ اللهُ تَعَهَّدَهُ بِالرُّعايَةِ مِنْ عِنْدِهِ بِما أَفاضَ عَلَيْهِ مِنَ المِواهِبِ وَالْمَلَكاتِ العَقْلِيَّةِ، فَهو مِنَ الَّذينَ يُقصدُونَ لِلحِكمِ مِنْ موقِعٍ فِكريٍّ عَميقٍ وَاسِعٍ، بِالسَّيْرِ فِي الخِطِّ المِستقيمِ الَّذي يَحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضاهُ، وَبِالشَّكْلِ الَّذي يُغني التَّجْربَةَ السُّوريَّةَ، وَيوسِّعُ الأفقَ، وَيُوحي بِالامْتِدادِ فِي حِركةِ الحَقِّ.

وهكذا بدأتِ المِسيْرَةُ على الطَريقِ الفِكريِّ وَالرُّوحيِّ الَّذي يُمهدُّ لَه السَّيْرُ فِي طَريقِ الحَقِّ على خَطِّ هُداة. وَقد كَانَتْ البِدايَةُ الطَّيِّبَةُ بِفِتحِ بابِ التَّفْكيرِ فِي آفاقِ هَذَا الدَّورِ السُّوريِّ الواقِعِيِّ، وَفي كِيفِيَّةِ النِّفاذِ إِلَى المِواقِعِ المِميّزَةِ فِي العالِمِ، كِما جَعَلْتَهُ يَتَطَلَّعُ فِي يِقْظَةٍ إِبحائِيَّةٍ إِلَى ما يَؤوُلُ إِلَيْهِ الأَمْرُ، وَما يُخفيهِ المِستقبَلُ فِي أَمَلٍ كَبيرٍ بِلُطْفٍ وَرِحمَةٍ لِسوريَةِ الأَسَدِ.

فالحكيم هو المشرف على رعاية دورِ سورِيّة الأسد وحمائته وحفظه والعناية بسلامته، وهو الذي أراد لسورية أن تسير في هذا الاتجاه لتصل إلى النتائج القويّة في نهاية المطاف.

وقد كان هذا واضحاً في أوّل انطلاقة المسيرة في تطوير الأوضاع واستقرار المواقع، لتكون لديه المعرفة الدقيقة فيما قد يحتاج الشعب إليه في كشف الغوامض، ولاسيما التي كانت تثير لديهم الكثير من الهواجس والمخاوف. وبذلك تهيأ للقائد المدخل الطبيعي للنفاذ إلى ذلك الموقع الذي لا يُسمح لأحد بدخوله وحلوله ما لم يكن في موقع الدرجات العليا والامتيازات المعرفيّة والقدرات الفكرية.

فللقائد الأسد في وحدته الذاتيّة التي هي حياة فكر وعلم أصيل دراسة واقعيّة للساحة التي كانت تحيط بالمنطقة، لما تقتضيه من معاشية للواقع وفهم له، وملاحقة لخصوصيات التجارب المختلفة عنده، ليصدر حكمه على الأشياء من قاعدة الوعي العميق لطبيعتها وطبيعة انطلاقتها وحركتها. وقد وهب ما يكفل له وصوله إلى الغايات التي يستهدفها من حركته في خط رسالته وتدبيره، فكان سلوكه العملي بالمستوى العالي الذي ملأ حياة الشعب السوري بروح جديدة من خلال القيم.

وهكذا كانت نشأته نشأةً تعيشُ آفاقَ الرُّوحانيَّةِ التي ترتفعُ إلى آفاقِ المددِ الإلهيِّ باستكمالِ قوِّتهِ وقدرتهِ العقليَّةِ من خلالِ اللُّطفِ الإلهيِّ، بحيثِ تمكَّنَ من أن يمتدَّ في حركةِ الصِّراعِ ليفتحَ منه علماءً واسعاً متحرِّكاً ينفذُ به إلى الوجدانِ فيما يحصلُ له من غوامضِ الأمورِ، ليوضِّحها مستفيداً من الموقعِ الذي منحه الحقُّ والشَّعبُ إيَّاهُ، لأنَّ اللهَ يفيضُ اللُّطفَ على الذي أعدَّه لإعطاءِ المثلِ الأعلى في القيمةِ والالتزامِ والمنزلةِ التي تُثبتُ للشَّعبِ بأنَّه القدوةُ في أعمالِهِ وأقوالِهِ، فيجدَ لديهم كلَّ الاحترامِ في اتِّباعِهِمْ لَهُ.

وهكذا خرجَ دورُ القائدِ الأسدِ بعنايةِ اللهِ في أعلى درجاتِ النَّجاحِ، فارتفعَ بفكرِهِ إلى عالمِ الرُّوحِ بعيداً عن عالمِ المادَّةِ العمياءِ. وهكذا انطلقَ القائدُ الشَّابُّ الحرُّ من أعماقِهِ، ليولدَ في شَخْصِهِ قائداً يفتحُ على المستقبلِ الحركيِّ الواسعِ الذي يُؤدِّي فيه رسالتهُ، وليقومَ بإدارةِ الشُّؤونِ، وليشعرَ الشَّعبُ السُّوريُّ بأنَّهم يتبعونَ مَنْ يرتفعُ إلى آفاقِ السُّموِّ ودرجاتِ القيمِ العُلَيَّا، لأنَّ مسألةَ اللُّطفِ ليستْ مجردَ صدفةٍ، بل هي مسألةٌ تتصلُّ بالعمقِ المتأصلِّ في الأعماقِ، وبرُوحيةِ القوَّةِ التي لا تضعُفُ أمامَ عواملِ الانحرافِ.

فاستطاع الدَّورُ السوريُّ أن يتخلَّصَ من الضُّغوطاتِ بالموقفِ القويِّ والإرادةِ الصلبةِ والإيمانِ المنفتحِ، إذ لم يستجبْ للتَّهويلِ، ولم يخضعَ للضُّغوطِ التي حاولتْ محاصرةَ حرِّيَّتِهِ في إرادَتِهِ بفعلِ التَّهديدِ بوسائلٍ متعدِّدةٍ، فكانَ للقائدِ الأسدِ من الشَّعبِ السُّوريِّ كلُّ الاحترامِ لِشَخْصِيَّتِهِ التي لا تخضعُ لأيِّ ضغطٍ أو ابتزازٍ.

ولم يتصوِّروا أنَّ هناكَ قائداً يتصلَّبُ أمامَ كلِّ عواملِ الإغراءِ، ويثبتُ أمامَ كلِّ حالاتِ الاهتزازِ، ولا يهتزُّ مهما كانت أوضاعُ التَّهديدِ. فسوريةُ الأسدِ لها دورٌ لم يكنْ يَعْلَمُهُ إلاَّ القليلُ من الخلائقِ، وقد أتمَّ اللهُ مقامَ دورِ سوريةِ بشارِ الأسدِ عندما أعطاهَا وسيلتَهَا ورفعَ لها درجتَهَا، إذُ كانَ الحقُّ معها مقروناً ففرضتْ وتممتْ وصلَّها وأوضحتْ برهانَ سياسَتِها وأحكمتْ رؤيَتَهَا.

أمَّا المخالفونَ لدورِ سوريةِ بشارِ الأسدِ فقدَ خسروا، واليومَ عندما رأى هؤلاءِ النَّاكثونَ التَّشريفَ الإلهيَّ لِحمايةِ سوريةِ بشارِ الأسدِ وإبانَّتِها بالفضلِ الرَّبَّانيِّ بخروجِها من الأزمتِ منتصرةً مرصتْ قلوبُهم لما شاهدوه من ذلكَ، مُضَافاً إلى ما كانَ مِنْ مرضِهِم.

فالاستضاءَةُ بأقوالِ القائدِ الأسدِ تدلُّ على معادنِ أهلِ الحقيقةِ، إذُ أبلجَ بها عن منهاجِ سبيلِهِ، وأوضحَ بها عن ينابيعِ علمِهِ، ليكونَ

حُجَّةً عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ، وَهَذَا مَا أَلْبَسَهُ تاجِ الْوَقَارِ، وَغَشَاهُ مِنْ نَوْرِ الْجَبَّارِ، لِيَمُدَّهُ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ لَا يَنْقَطِعُ مَدَدُهُ، وَهُوَ عَالَمٌ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَلْبَسَاتِ وَمَعْمِيَّاتِ وَمُشْتَبَهَاتِ الْفِتَنِ.

فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ بِهِ لَنَا فَاسْتَوَدَعَهُ وَاسْتَحْفَظَهُ وَاسْتَرَعَاهُ لِشَعْبِهِ السُّورِيِّ، وَانْتَدَبَهُ لِعَظِيمِ أَمْرِهِ، وَأَحْيَا بِهِ مَنَاهِجَ سَبِيلِهِ بِالْعَقْلِ السَّاطِعِ وَالْفِكْرِ النَّافِعِ وَالْبَيَانِ اللَّائِحِ مِنْ كُلِّ مَخْرَجٍ عَلَى طَرِيقِ الدَّوْرِ الَّذِي مَضَى عَلَيْهِ الصَّادِقُونَ. فَهُوَ مِنْ أُمَّنَاءِ الْحَقِّ، وَهُوَ رَحْمَتُهُ عَلَى شَعْبِهِ، وَهُوَ مِنْ عِظَمَاءِ وَمَصَابِيحِ الصِّدْقِ، وَهُوَ الْعَلَمُ الْمَرْفُوعُ وَالطَّرِيقُ الْوَاضِحُ.

قوة الدور السوري:

أَرَادَ اللَّهُ لِدَوْرِ سُورِيَةِ الْأَسَدِ أَنْ يَظْهَرَ بِمَظْهَرِ الْقُوَّةِ فِي اسْتِعْرَاضٍ شَامِلٍ لِلْأَزْمَاتِ خِلَالَ السَّنَوَاتِ الْأَخِيرَةِ مِنْ خِلَالَ الْمَسْئُولِيَّاتِ وَالْمَهْمَّاتِ الَّتِي أَرَادَ لَهَا الْقِيَامَ بِهَا عَلَى تَنَوُّعِهَا وَاخْتِلَافِ مَوَاقِعِهَا.

فَفِي عَرَضٍ وَاسِعٍ مَهَيْبٍ مُعَبَّرٍ عَنْ حَجْمِ الْقُوَّةِ الَّتِي سَيُحَدِّثُنَا التَّارِيخُ عَنْ تَفَاصِيلِهَا بَعْدَمَا انْطَلَقَتِ الْمَسِيرَةَ، كَانَ مَا وَفَّقَتْ إِلَيْهِ سُورِيَةَ بِشَارِ الْأَسَدِ جِزْءًا مِنْ هَذِهِ الْمَسِيرَةِ.

وهكذا يستوحي الشعب السوريُّ من خلالِ هذا المنطلقِ أعماقَ القوَّةِ لدى دورِ القائدِ، لأنَّه دائماً لم ينفصلْ عن شعبيهِ وهوَ في كلِّ المواقعِ، ليبقى بقوَّتهِ مشدوداً إليه، ومُنْفَتِحاً على شعبيهِ بعقلهِ وشعورهِ وقوَّتهِ، وقد تمثَّلَ هذا في قولِ القائدِ بشارِ الأسدِ في كلمتهِ التوجيهيةِ أمامَ مجلسِ الوزراءِ بتاريخِ ١٦ نيسانِ ٢٠١١ بأنه: (سيبقى دائماً الابنَ البارَّ بشعبيهِ، والأخَ والرَّفيقَ الوفيَّ لأبنائِهِ، يسيرُ معهم وفي مقدِّمتِهِم لبناءِ سوريةِ التي نحيا ونفخرُ بها، سوريةِ العصيةِ على أعدائها، سوريةِ المقاومةِ والمقاومةِ).

فدورُ سوريةِ الأسدِ امتدادٌ كبيرٌ في القوَّةِ، وموقعُهُ عظيمٌ في عناصرِها، إذ منحهُ اللهُ مكانةً واسعةً مميَّزةً، لأنَّ المساحةَ التي امتدَّتْ إليها مسؤوليَّتها كانتْ تَتَطَلَّبُ الكثيرَ منَ القوَّةِ ومنَ الوسائلِ المتحرِّكةِ لمواجهةِ القوىِ المعاديةِ.

وتبقى قوَّةُ دورِ سوريةِ الأسدِ منحةً إلهيةً لا تُشبهُ الآخرينَ، بل هي قوَّةٌ تمتزجُ بمسؤوليةِ الصِّراعِ، وتتحركُ الأمورُ من خلالهِ باعتبارها ضمنَ الرِّعايةِ الإلهيةِ التي يُنعمُ اللهُ بها على شعبيها.

شمولية الدور السوري:

لسورية الأسد دورٌ شموليٌّ يدفعُ العقلَ إلى التّفكيرِ الذي يَصِلُ بالعاقلِ إلى الحقيقةِ، وينفتحُ على مواجهةِ الأعداءِ في أسلوبٍ يتميَّزُ بالسياسةِ والقوَّةِ، وفي موقفٍ يتحرَّكُ بالرّفْضِ للاستسلامِ، لأنَّ ذلكَ يؤكِّدُ الحجَّةَ أمامَ الذينَ يبتعدونَ عن الشُّموليَّةِ ويريدونَ لسوريَّةَ أنْ تنحرفَ إلى خطوهم المَعْوَجَّةَ.

فالشموليَّةُ عندَ الدَّورِ السوريِّ على وجهين: حُجَّةٌ وكرامةٌ، فالحجَّةُ هي الدَّلالةُ، والكرامةُ هي العُدَّةُ، وما يَدُلُّ على صحَّةِ القرارِ شموليَّتهُ التي تدلُّ على صفاءِ الهمةِ وصدقِ الإرادةِ. فقد حَمَلَتْ سورية الأسدَ آثارَ المقاومينَ، لذلكَ كانت شموليَّةُ دورِها.

إنَّها شموليَّةُ دورٍ طريقيها الاستدلالُ بالشَّواهدِ والاعتبارُ بالحججِ والعلاماتِ، والتّفكُّرُ في تحويلِ الحالاتِ.

والشموليَّةُ عندَ سورية الأسدَ تكمنُ في دورِها المنفتحِ على الحقيقةِ والمنطقِ في رشدِ الفكرِ وحركيَّةِ الحوارِ، فقد أعدَّها القائدُ الأسدُ في تكوينِها الفكريِّ والروحيِّ إعدادًا في زمنٍ فيه الكثيرُ من علاماتِ الاستفهامِ في رحلةِ البحثِ عن الحقائقِ، في عمليَّةِ إحياءِ للآخرينَ بالدليلِ القاطعِ المرتكزِ على المعادلاتِ الفكريَّةِ، حيثُ أدارَ القائدُ الأسدُ

فكره العقلاني الشمولي في المواقع التي تُعطي لكل سؤالٍ جواباً، بكلِّ دقّةٍ وعمقٍ وانفتاحٍ.

فقد تعرّفَ من خلال حركة الواقع للدُّول من حوله على طبيعة أفكارهم وتوجهاتهم ومواقفهم حتّى استطاع أن يختزن في وعيه النِّقاطَ التي تُسيطرُ على أفكارِ المنطقة. وهكذا استطاع أن يحصلَ على الدَّورِ العقلانيِّ والشموليِّ الذي يُوصِلُ إلى معرفةِ مواقعِ الخطأ والصَّوابِ في الأشياءِ المطروحةِ في السَّاحةِ العربيَّةِ والدُّوليَّةِ، لأنَّه مشمولٌ بالعتايةِ والرَّعايةِ بما هيأَ اللهُ له جميعَ الإمكانياتِ على جميعِ المستوياتِ.

الفصل الخامس

الخط السوري

ظهرَ مصطلحُ (خطُّ سورية الأسد)، ومنذُ هذا التاريخِ دخلَ هذا المصطلحُ في قاموسِ التاريخِ، إلاَّ أنَّ المضمونَ والمحتوى السِّيَاسِيَّ والفكريَّ لهذا المصطلحِ سيبقى مَوجوداً في عمقِ الرِّعايةِ الإلهيَّةِ. وفي هذه المرحلةِ تمايَزَتِ الخطوطُ السِّيَاسِيَّةُ، وتميَّزَ مِنْ بَيْنِ هذه الخطوطِ (خطُّ سورية الأسد) كخطِّ سياسيٍّ صامدٍ عَزَلَ سائرَ الخطوطِ الاعتداليَّةِ المستسلمةِ عن السَّاحةِ السِّيَاسِيَّةِ. وَلَسَوْفَ نَتَّأولُ في هذا الفصلِ تاريخَ وخصائصَ ومكاسبَ وقيمةَ ومعالَمَ ومصادرَ خطِّ سورية الأسدِ بشكلٍ موجزٍ إن شاء اللهُ تَعَالَى.

خط سورية الأسد:

من حقّ التّاريخ أن يشعرَ بالفخرِ في حقبةٍ هامّةٍ يمرُّ بها، إنّها حقبةُ خطِّ القائدِ الفدِّ بشارِ الأسدِ، هذا القائدُ الذي يُذكرُ الأُمَّةَ بقائدٍ تاريخيٍّ آخرَ هو سيفُ الدّولةِ الحمداني، وليسَ الوقتُ مبكراً لنُدركَ كمَ هوَ عظيمٌ وعميقٌ أثرُ هذا القائدِ العظيمِ، فالسَّنواتُ الماضيةُ كانتُ حاسمةً تاريخياً، وتمَّ الحديثُ عن الخطِّ السياسيِّ بشكلٍ كبيرٍ من جهةِ الأحداثِ، ولذلكَ لنَ أتطرَّقَ في الحديثِ من جهةٍ واحدةٍ فحسبُ.

فخطُّ سورية بشارِ الأسدِ هوَ الفهمُ الأصيلُ للدورِ كرسالةٍ للحقِّ، ومَنهجِ العمليِّ في التّعاطيِّ مع قضايا الأُمَّةِ.

وهذا يعني أنَّ لخطِّ سورية الأسدِ بُعدينَ:

– البعدُ الأوَّلُ: هوَ الفهمُ النَّظريُّ للخطِّ بما هوَ فكرٌ وقيمٌ وأخلاقٌ وخطُّ سيرٍ مع الحقِّ.

– والبعدُ الثَّاني: هوَ المنهجُ العمليُّ في التّعاطيِّ مع القضايا المعاصرةِ وأحوالِها وأوضاعِها وشُجونِها وآمالِها وآلامِها، وطريقتهُ وأسلوبه

العمليُّ في مواجهةِ التَّحدِّياتِ والأخطارِ والمِحَنِ والفِتَنِ التي تُواجهُها المنطقَةُ.

إنَّ أهمَّ أركانِ هذا الخطِّ وميزاتهِ وخصوصيَّاتهِ :

١. المهمةُ المحقَّقةُ والارتباطُ ارتباطاً وثيقاً قائماً على أساسِ الاعتمادِ الحقيقيِّ على الحقِّ والإخلاصِ، والتَّوكُّلِ عليهِ في كُلِّ الحالاتِ، وهذا هو قوامُ الخطِّ وأساسُهُ الأوَّلُ، وقد أشارَ السيِّدُ الرِّئيسُ بشار الأسدُ إلى هذه الفكرةِ في القمَّةِ الإسلاميَّةِ التاسعةِ عندما أوردَ قولَ الرِّسولِ الأعظمِ (ص): (المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ من المؤمنِ الضَّعيفِ).

٢. التَّقْيُّدُ الكَامِلُ بالمسؤوليَّاتِ الحقَّةِ، والعملُ على امتثالِها وتطبيقِها مهما كانتِ النَّتائِجُ.

٣. الإصرارُ على الالتزامِ بالنَّهجِ الأصيلِ، وتحطيمُ حاجِزِي الخوفِ والاعتدالِ في الفهمِ والعملِ السِّيَاسِيِّ.

٤. الصُّمودُ في مُواجهَةِ نفوذِ القويِّ المعاديةِ وعدمِ مساومتِها، والثَّبَاتُ السِّيَاسِيُّ على المواقِفِ المبدئيَّةِ تجاهَ كُلِّ القَضَايَا، حيثُ قالَ السيِّدُ الرِّئيسُ بشار الأسدُ: (إنَّنا ما زلنا في حربٍ مع إسرائيلَ لأنَّها ما

زالت تحتل أرضنا، ثانيًا نحن نتوقع دائمًا أن تقوم إسرائيل
بشأن حرب على سورية في أي وقت... ومن الطبيعي أن يعد المرء
نفسه لحرب كهذه).

٥. الاهتمام بالجانب المعنوي، والعمل على بناء الذات للصمود في
المواجهة.

٦. التّبنى المستمر لقضايا المقاومة بشكل عام، والدفاع عن مواقعها
وقضاياها بكل الوسائل الممكنة، حيث أكد السيد الرئيس بشار
الأسد على أهمية دورها في قوله: (إنّ التجربة أثبتت لدينا في
منطقتنا عبر العقود أنّ المقاومة إذا كان لديها دعم شعبي
ستستطيع أن تحصل على ما تريد).

٧. الإصرار على وحدة الشعب ومحاربة محاولات بثّ الفرقة في
صُفوفه، حيث قال السيد الرئيس بشار الأسد: (لقد راهنوا على
أشياء كثيرة... راهنوا على القوة العسكرية ودُحروا في لبنان،
وراهنوا على وحدتنا الوطنية وأفشل شعبنا هذا الرهان.. والآن
على ماذا يراهنون.. إنّ الرهان الوحيد الذي يمكن أن يكتب له
النجاح هو الرهان على إرادة الشعوب في استعادة حقوقها).

٨. التَّوَجُّهُ الخاصُّ للصِّراعِ مع الكيانِ الصُّهيونيِّ الغاصبِ والمحتلِّ، فإنَّ قضيةَ الصِّراعِ مع العدوِّ الإسرائيليِّ كانتْ ولا تزالُ تحتلُّ مكاناً في خطِّ سورية الأسد. ففي نظرِ القائدِ تُعتَبَرُ قضيةُ الصِّراعِ من الأصولِ والثَّوابتِ التي لا يَجُوزُ غَضُّ النَّظَرِ عنها بأيِّ وجهٍ من الوجوه، وذلكَ لأنَّ سورية الأسد قد شحَّصتْ بدقةِ الدَّورِ الإرهابيِّ والمخرَّبِ والهدَّامِ لهذا الكيانِ الصُّهيونيِّ، وذكرَ ذلكَ السيِّدُ الرئيسُ بشار الأسد بقوله: (إنَّ هذه العنجهيَّةَ الإسرائيليَّةَ والممارساتِ البعيدةَ كُلَّ البعدِ عن أخلاقيَّاتِ وتعاليمِ أيِّ دينٍ من الأديانِ السَّماويَّةِ... فالإسرائيليُّونَ يَقتلونَ، والعربُ والمسلمونَ يُتَّهَمُونَ بالإرهابِ ومعاداةِ السَّاميَّةِ).

٩. إعطاءُ الأهميَّةِ لقدراتِ الشُّعوبِ واعتبارها عنصراً أساسياً في أيَّةِ حركةٍ تغييريَّةٍ، فالقائدُ يخاطبُ الشُّعوبَ ويتكلَّمُ معها، ويعتقدُ أنَّ تحولاتِ العالمِ الكبيرةَ حدثتْ بأيديِ الشُّعوبِ، وقد عبَّرَ السيِّدُ الرئيسُ بشار الأسد عن هذا في قوله: (ورغمَ كُلِّ ما تعرَّضتْ له من اعتداءاتٍ بقيتْ سورية حاملةً للقيمِ ومضحيةً في سبيلها، ذلكَ لأنَّها تعلَّمتْ من تجرُّبَتِها الطَّويلةِ التي تمتدُّ آلافَ السنينِ

أَنَّ النَّصْرَ هُوَ فِي النَّهْيَةِ لِإِرَادَةِ الشُّعُوبِ وَلتَقِيمِ الْحَقَّ وَالْعَدَالَةَ
الَّتِي تُجَسِّدُهَا حَرَكَةُ الشُّعُوبِ دَائِمًا).

لَقَدْ تَمَيَّزَ خَطُّ سُورِيَةِ بَشَارِ الْأَسَدِ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْخُصُوصِيَّاتِ
عَنْ سَائِرِ الْخُطُوطِ السِّيَاسِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ، وَبَرَزَ كَخَطِّ سِيَاسِيٍّ صَامِدٍ وَاضِحٍ
الْمَعَالِمِ وَالِاتِّجَاهِ.

وَالشُّعُوبِ الْأُخْرَى بِحَاجَةٍ دَائِمًا إِلَى شَرْحٍ وَبَيَانٍ لِمَعَالِمِ هَذَا الْخَطِّ
الْعَظِيمِ وَأَرْكَانِهِ وَخُصُوصِيَّاتِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ تُحَاكِمَ أَعْمَالَهَا وَسُلُوكَهَا
وَأَدَاءَهَا عَلَى أُسَاسِهِ، لِأَنَّ الْخَطَّ عِنْدَمَا يَكُونُ وَاضِحًا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْهَمَ
مَسِيرَةَ الدَّورِ إِيمَانِيًّا وَفِكْرِيًّا وَثِقَافِيًّا وَسِيَاسِيًّا وَفِي الْإِلْتِمَازِ وَالْأَدَاءِ.

وَمَنْ أَمَّهُ الْمَكَاسِبِ الْقِيَادِيَّةِ لَخَطِّ سُورِيَةِ بَشَارِ الْأَسَدِ ظَهُورُ خَطِّ
سِيَاسِيٍّ صَامِدٍ، يَعْبُرُ عَنِ الْمَوَاقِفِ الْإِسْتِرَاطِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ، وَيُرْتَبِطُ
بِمَوَاقِعِ الْأُصُولِ الْفِكْرِيَّةِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ خَطُّ هَامٍ، يَسْتَحِقُّ دَرَسَاتٍ وَاسِعَةً
وَتَحْقِيقِيَّةً، فَلأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ يَكُونُ لِلصُّمُودِ السِّيَاسِيِّ خَطُّ
سِيَاسِيٍّ مُحَدَّدٍ الْمَعَالِمِ وَوَاضِحٍ الْإِتِّجَاهِ.

وَتَحَوَّلَ هَذَا الْخَطُّ السُّورِيُّ الصَّامِدُ الَّذِي هَزَّتْ أُمُوجُهُ الْمَعَادِلَاتِ
الْإِعْتِدَالِيَّةَ الْمُسْتَسْلِمَةَ فِي الْمُنْطَقَةِ، فَاجْتَذَبَ اِهْتِمَامَ كُلِّ الْعَالَمِ، وَأَخَذَ

العالم يتابع أخباره باهتمامٍ وحرصٍ بعدما زرعوا أمام سورية (الدولة الصّامدة) عقباتٍ ومتاعبٍ ومشاكل.

وكانَ خط سورية الصّامدة يجتازُ هذه العقباتِ واحدةً بعدَ أخرى وينتهي من عقبةٍ ليبدأَ باجتيازِ أخرى، مع أنَّه كانَ يتزامنُ في وجهِ الخطِّ السوريِّ أكثرُ من عقبةٍ خارجيّةٍ في وقتٍ واحدٍ، ولكنَّ تمَّ تجاوزُ هذه العقباتِ بتوفيقٍ ونجاحٍ منقطعِ النّظيرِ.

وخلالَ هذه التّحوّلاتِ والأحداثِ الكُبرى الخطيرةِ والمواجهاتِ السياسيّةِ والابتلاءاتِ الصّعبةِ تنامى داخلُ المنطقةِ خطُّ سياسيٌّ حركيٌّ وفكريٌّ صامدٌ، يُشكّلُ استراتيجيّتنا السّياسيّة، وينبعُ من الأصولِ العميقةِ لتفكيرنا الصّامدِ، وذلكَ هوَ (خطُّ سورية الأسد).

وهذا خطُّ في أصولهِ التّاريخيّةِ المعاصرةِ لديه من الوعي السّياسيِّّ ما يجتازُ به هذه المراحلَ السّياسيّةِ خلالَ نصفِ قرنٍ من الزّمانِ تقريباً، حتّى تكاملتْ أبعادهُ وكَمَلَتْ نُموهُ، فظهرَ على السّاحةِ على شكلِ خطِّ قويٍّ، من خلالِ السّلوكِ السّياسيِّّ الصّامدِ للقائدِ بشارِ الأسد.

أبعاد خط سورية الأسد:

١. البعد العملي:

الخاصية الأولى في هذا الخط أن هذا الخط ليس خطأ سياسياً وصمودياً نظرياً تبلور من خلال تنظيرات علمية ودراسات سياسية أكاديمية، وإنما تبلورت أبعاد هذا الخط السياسي من خلال الجهود، وهي جهود تبعث على الاطمئنان والأمن.

فمن يضع خطاه على هذا الخط يعلم أنه يضع خطاه على طريق شقته سورية الأسد في سبيل الحق من خلال تجاربها وعملها وتحركها وبصيرة قائدها في هذه الحركة المباركة للخط.

وقد كان خط سورية الأسد خلال هذه المسيرة الشائكة في الفترة الماضية وقود الحركة، ومصب كل المحن التي تجاوزتها الحركة في مراحلها المختلفة، وقد تحملت سورية ولا تزال تتحمل نتيجة هذه الحركة آلام الطريق ومتاعبه بصبر وجلد، فمن الطبيعي إذن أن يكون هذا الوعي والخط السياسي الذي تبلور خلال هذه الفترة قد تبلور في عمق الضمير ووجدانه، وتفاعلت معه المقاومة تفاعلاً كاملاً، وتحولت إلى قناعة وإيمان ثابتين في عمق الوجدان.

وقد كانَ هَذَا الالتحامُ، بينَ الشَّعبِ وخطِّ القائدِ الأسدِ مِنْ أُمَّه أسبابِ الوقوفِ بحزمٍ وثباتٍ، لحمايةِ الخطِّ وحراسَتِهِ من التَّحدِّياتِ.

٢. الأبعاد الحضارية والتاريخية:

ومن خصائصِ هذا الخطِّ، أنَّ الجذورَ الأولى لهذا الخطِّ تمتدُّ إلى الإيمانِ بالحقِّ، فليسَ هَذَا الخطُّ خطأً مَبْتُورًا اجْتُثِّتَ من فوقِ الأرضِ مَا لَهُ مِنْ قرارٍ، وإِنَّمَا هُوَ في أبعادهِ التَّاريخيَّةِ خطُّ الحقِّ، وهوَ بذلكَ خطُّ عريقٌ أصيلٌ ذو أصولٍ ثابتةٍ، والإحساسُ بهذهِ الحقيقةِ يُعمِّقُ صلةَ الشعبِ العقليَّةَ في سورِيَّةَ بهذا الخطِّ.

فالشَّعبُ في سورِيَّةَ ليسَ كائنًا مَبْتُورًا عن أصولِهِ وجذورهِ التَّاريخيَّةِ. وحيثما يشعرُ أَنَّهُ يَتَّبِعُ في حركتِهِ مواضعَ خطِّ القائدِ المقيمِ للحقِّ، فلا شكَّ أنَّ صِلَتَهُ بالخطِّ وعلاقتهُ بِهِ تَتَأَكَّدُ، وتَتَّصَعِدُ درجةً تفاعُلِهِ الرُّوحيِّ والعقليِّ مع هذا الخطِّ.

وهذا بالتَّأكيدِ مِنْ أُمَّه عواملُ بقاءِ الخطِّ واستمرارِهِ رغمَ كُلِّ المعاكساتِ والعقباتِ التي واجهتُهُ.

والذي يَتَّبِعُ كلماتِ القائدِ بشارِ الأسدِ، خلالَ مسيرتِهِ يجدُ أنَّ القائدَ يُولي اهتمامًا كبيرًا بالصِّيغةِ الشَّعبيَّةِ الصَّادقةِ التي ألفها، كُلُّ

ذكَ لَتَبْقَى عَجَلَةُ الْخَطِّ مَشْدُودَةً بِأَبْعَادِهَا التَّارِيخِيَّةِ، وَلَتَرْتَبِطَ مَسِيرَتُنَا السِّيَاسِيَّةَ فِي سُورِيَةِ بَتَلِكِ الْمَسِيرَةِ الْكُبْرَى.

وَقَدْ قَالَ السَّيِّدُ الرَّئِيسُ بَشَارُ الْأَسَدِ: (وَبِكُلِّ تَأْكِيدٍ فَإِنَّ شُعُوبًا وَثِقَافَاتٍ كَثِيرَةً فِي هَذَا الْعَالَمِ تُشَارِكُنَا هَذِهِ الْقِيَمَ مَعْبَرَةً عَنِ وَحْدَةِ الْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَمُبَيَّنَةٌ أَنَّ الصَّرَاعَ لَا يَكُونُ بَيْنَ حَضَارَةٍ وَأُخْرَى.. بَلْ بَيْنَ الْحَضَارَةِ وَاللَّاحِضَارَةِ، بَيْنَ الْأَخْلَاقِ وَانْعِدَامِهَا، كَمَا هُوَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ).

٣. الأصالة:

لَمْ يَتَأَثَّرِ الْخَطُّ خِلَالَ الْعُبُورِ مِنْ وَسْطِ التَّيَّارَاتِ الْاِعْتِدَالِيَّةِ الْمَعَاوِرَةِ بِشَيْءٍ مِنْ مَفَاهِيمِهَا وَأَفْكَارِهَا، بَلْ حَافِظًا عَلَى أَصَالَتِهِ وَنَقَائِهِ مِنَ التَّلَوُّثِ الْفِكْرِيِّ وَالْحَضَارِيِّ وَالسُّلُوكِيِّ عِنْدَ بَعْضِ الدُّوَلِ.

وَلَيْسَ مِنْ شَكٍّ أَنَّ الصَّلَابَةَ الْفِكْرِيَّةَ لَخَطُّ الْقَائِدِ بَشَارِ الْأَسَدِ كَانَتْ مِنْ أَهَمِّ عَوَامِلِ هَذِهِ الْأَصَالَةِ، فَفِي الْبَدَايَةِ تَبَيَّنَتْ سُورِيَةُ مِنْ خِلَالِ تَوْجِيهَاتِ وَخَطَابَاتِ الْقَائِدِ بَشَارِ الْأَسَدِ شِعَارَاتِ وَهَتَافَاتِ الشَّعْبِ، فِي

حين كانت ولا تزالُ بعضُ الأنظمةِ في هذه المنطقةِ تدورُ حولَ فلكِ الانصهارِ بالقوى العالميةِ.

واستطاع الخط الحكيم للقائدِ بشار الأسد أن يقفَ في وجهِ القوى الكبيرةِ، ويمارسَ العملَ السياسيَّ بموجبِ هذا الشعارِ، ويتخلَّصَ من جميعِ ضغوطاتِ دوائرِ النفوذِ الأخرى، من خلالِ الخطواتِ الجبَّارةِ في المراحلِ الماضيةِ، وتقييمِ هذا الرُّكنِ الهامِّ من أركانِ خطِّ سوريةِ الأسدِ.

ولقد كانتُ عواملُ خارجيةٌ قد حاولتُ أن تُدسَّ نفسها لتسريبِ المفاهيمِ الاستسلاميةِ بصورةٍ أو بأخرى بمختلفِ التبريراتِ، ولكنَّ وعيَ سوريةِ الأسدِ وصمودها أفضلُ كُلِّ هذهِ المحاولاتِ، واستطاعَ خطُّها أن يجتازَ هذهِ المرحلةَ محافظاً على نقاوتِهِ وأصالتِهِ وصفائِهِ الفكريِّ الذي هُوَ كُلُّ قيمتِهِ والثمنُ الحقيقيُّ للصمودِ.

وقد عبَّرَ القائدُ بشار الأسد عن هذهِ المواقفِ أكثرَ من مرَّةٍ، حيثُ قالَ: (نحنُ نتشدَّدُ في شيءٍ وحيدٍ هُوَ وضعُ أسسِ)، كما قالَ: (نحنُ في سوريةِ منفتحونَ على الحوارِ، ولكنَّا لسنا على استعدادٍ لتلقِّيِ تعليماتِ).

٤. التصدي:

حالة التّصديّ والمبادرة من خصائص خطّ سورية بشار الأسد، إذ تجلّت عن حالة اقتحام مراكز نفوذ القوى المعاديّة، وذلك حاسم في مسألة التّصدي للعدوّ، ويتولّى دائماً دور المبادرة، ويكون له شجاعة في الإقدام في هذا المجال، ويعتمد على حقّها في ذلك. وبهذه الرّوحية تستطيع سورية أن تُؤدّي دورها في التّاريخ المعاصر.

وقد كان خطّ سورية الأسد خلال هذه الفترة يمتاز بمثل هذه الشّجاعة والجراة في التّصديّ وما يستلزم ذلك من رؤية واضحة في المسائل الصّموديّة والحسم، وقد عبّر السيد الرئيس بشار الأسد عن هذا بقوله في خطابه أمام مجلس الشعب بتاريخ ٣٠ آذار ٢٠١١: (الشّعب السُّوريُّ شعبٌ مُسالّمٌ وودودٌ ولكنّا لن نتردّد يوماً في الدفاع عن قضايانا ومصالحنا ومبادئنا، وإذا فُرِضَتْ علينا المعركة اليوم فأهلاً وسهلاً بها).

وبهذا استطاع القائد الأسد أن يواصل العمل في حين كان البعض في الدّول العربيّة يشعر بالضعف والتردّد والميل للرّكون

والتَّوجِيهِ السِّيَاسِيَّ الْمُتَحَاذِلِ مِنْ بَعْضِ الَّذِينَ وَقَفُوا مَوْقِفًا سَلْبِيًّا تَجَاهَ الْأُزْمَةِ.

وهذا الموقفُ أكدَّهُ السَّيِّدُ الرَّئِيسُ بَشَارُ الْأَسَدِ عِنْدَمَا قَالَ:
(خيارُ القُوَّةِ والرَّدْعِ لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ عَسْكَرِيًّا، قَدْ تَكُونُ لَهُ أَشْكَالٌ
مُخْتَلِفَةٌ، قَدْ يَكُونُ بِشَكْلِ عَسْكَرِيٍّ، وَقَدْ يَكُونُ بِشَكْلِ تَضَامُنِيٍّ).

٥. الْأَحْقِيَّةُ:

مِنْ أَرْكَانِ هَذَا الْخَطِّ وَمِيَّزَاتِهِ وَخِصَائِصِهِ (الْأَحْقِيَّةُ)، وَالْإِرْتِبَاطُ
إِرْتِبَاطًا وَثِيقًا قَائِمًا عَلَى أَسَاسِ الْحَقِيقَةِ فِي كُلِّ الْحَالَاتِ، وَهَذَا هُوَ قَوَامُ
الْخَطِّ وَأَسَاسُهُ الْأَوَّلُ، وَالتَّرْكِيزُ عَلَى هَذَا الْجَانِبِ هُوَ الْمَهْمَةُ الْأُولَى.
وَمَنْ يَتَّبِعُ مَكَاسِبَ الْخَطِّ السُّورِيِّ الْحَكِيمِ يَتَمَلَّكُهُ الْإِعْجَابُ بِمَا
حَقَّقْتَهُ خِلَالَ هَذِهِ الْفَتْرَةِ الْقَصِيرَةِ.

فَصِفَةُ الْأَحْقِيَّةِ فِي هَذَا الْخَطِّ هِيَ الْمِيزَةُ الْأُخْرَى الْمُرْتَبِطَةُ بِالْمَهْمَةِ
الْحَقَّةِ. وَالَّذِي يَتَّبِعُ كَلِمَاتِ الْقَائِدِ بَشَارِ الْأَسَدِ يَجِدُ حِرْصًا بِالْغَا
وَاهْتِمَامًا كَبِيرًا بِخُصُوصِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

فَمِنْ خِصَائِصِ خُطِّ سُوْرِيَةِ الْأَسَدِ التَّبَنِّيِّ الْمُسْتَمِرِّ لِقَضَايَا الْمَقَاوِمَةِ،
وَالدِّفَاعِ عَنِ مَوَاقِعِهَا وَقَضَايَاهَا بِكُلِّ الْوَسَائِلِ الْمَمْكِنَةِ. هَذِهِ الْمَقَاوِمَةُ الَّتِي
وَصَفَهَا الْقَائِدُ بِيْشَارُ الْأَسَدُ بِقَوْلِهِ: (إِنَّ الْمَقَاوِمَةَ الْوَطْنِيَّةَ الْبَاسِلَةَ قَدْ
سَطَّرَتْ أُرُوعَ مَلَاحِمِ الْبَطُوْلَةِ وَالْإِسْتِشْهَادِ، وَسَتَبْقَى بِنَهْجِهَا
وَإِنْجَازَاتِهَا نَمُوْدَجًا سَيَعِيْشُ مَعَ الْأَجْيَالِ طَوِيْلًا).

فَلَمْ تَتَخَلَّ سُوْرِيَةُ الْأَسَدِ فِي يَوْمٍ مِنْ الْأَيَّامِ عَنِ مَسْئُوْلِيَّتِهَا تَجَاهَ
قَضَايَا الْمَقَاوِمَةِ، وَلَمْ تَتَخَلَّ عَنِ مَهْمَّتِهَا وَرِسَالَتِهَا السِّيَاسِيَّةِ الْأُوْلَى وَعَنِ
مَبْرَرِ وُجُوْدِهَا، وَقَدْ أَشَارَ السَّيِّدُ الرَّئِيسُ بِيْشَارُ الْأَسَدُ إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ فِي
خُطْبَاهِ أَمَامَ مَجْلِسِ الشَّعْبِ بِتَارِيْخِ ٣٠ آذَارِ ٢٠١١: (سِيَاسَةُ سُوْرِيَّةِ
الْخَارِجِيَّةِ بُنِيَتْ عَلَى أَسَاسِ التَّمَسُّكِ بِالْحَقُوْقِ الْوَطْنِيَّةِ وَالتَّمَسُّكِ
بِالْحَقُوْقِ الْقَوْمِيَّةِ الْإِسْتِقْلَالِيَّةِ وَدَعَمِ الْمَقَاوِمَاتِ الْعَرَبِيَّةِ عِنْدَمَا يَكُوْنُ
هُنَاكَ اِحْتِلَالٌ، وَالرَّابِطُ بَيْنَ السِّيَاسَتَيْنِ الْدَاخِلِيَّةِ وَالْخَارِجِيَّةِ كَانَ
دَائِمًا هُوَ الْمَوَاطِنُ).

تلك باختصارٍ أهمُّ ملامحٍ وأركانٍ وخصائصٍ خطِّ سوريّة الأسد،
وللبحثِ عن مفرداتِ هذا الخطِّ مجالاتٍ أُخرى وأحاديثٍ أُخرى نرجو
أن يوفّقنا اللهُ تعالى لها.

الفصل السادس

النصر التاريخي

عندما تكون الكتابة عن النصر في تموز في فكر سورية الأسد، فهذا يعني أنك تكتب عن النصر في فكر حقيقي عاش النصر في كل قناعاته وفكره ومواقفه ومبادئه، بل كل النصر حليفه في ساحة المعركة الكبرى، ساحة الصراع بين الحق والباطل، وشاء الله تعالى لهذا السيد بأن يكون انتصاره العارم تتويجاً لمسيرة الانتصارات تلك، ليتحول بمقاومته الرائدة إلى رمز.

ونحن إذا أردنا أن نبحت عن سر النصر فإننا نجد هذا السر متجلباً في ثقافة الارتباط بالحق، هذه الثقافة التي لازمتها ولازمها في كل المراحل، فخالطت أقواله وأفعاله، فهو السيد الذي قاد للحق، والحكيم الذي حكم للحق، والثائر الذي قام للحق، والصابر الذي احتسب في الحق، والذي خطب للحق، والذي ضحى للحق.

وهذه كلماته تُحدثنا عن هذه الثقافة التي لا هزيمة معها، بل هي انتصار دائم.

بهذه الروحية كان قائد المقاومة قد واجه كل القضايا والأمور الصغيرة والكبيرة، لتصير القضية بحجم من يعمل من أجله، وهو الحق، لا بحجم نفس القضية.

هذه هي حقيقة النصر ومعناه وروحه وجوهره بنظر سورية الأسد الأصيلة. وأما تجليات النصر وإشراقته فهي كثيرة، نعرض أهمها:

١. الاقتران: النصر والحق حليفان، فأينما حلَّ الحق كان النصر، وأينما حصل النصر كان في ظلِّ الحق مُطلقاً منه، بل يمكن القول: إنَّ النصر في الحقيقة ليس إلاَّ تجلُّ للحق ومظهر له، فالحق منتصر على الدوام.

٢. الثبات: من القضايا الهامة والتي تُعدُّ شرطاً في تحقيق النصر وديمومته هي الثبات على الحق والتمسُّك به وعدم الحياد عنه، لأنَّ الحياد عن الحق والانحراف عنه هو خروج عن جادة النصر إلى وادي الهزيمة، بل تكون الهزيمة هنا أشدَّ لأنها جاءت بعد انتصار، وبعد قيام الحجة بمعرفة الحق والتمسُّك به ومن ثمَّ تركه

والحيادِ عنه. والثَّباتُ على الحقِّ يحتاجُ للكثيرِ الكثيرِ من العزمِ والإرادةِ والإخلاصِ والوعيِ والحكمةِ والتَّصميمِ. فطريقُ الحقِّ هوَّ الطريقُ المستقيمُ والجادُّ الذي لا اعوجاجَ فيه، والثَّمسُكُ هُنَا يحتاجُ إلى الثَّبتِ الشَّدِيدِ مع تجميعِ كُلِّ القوي العَقليَّةِ والنَّفسيَّةِ والجسديَّةِ تركيزًا على هذا المسارِ دونَ غيره، مع بذلِ التَّضحياتِ عندما يَتطلَّبُ الأمرُ ذلكَ، وبهذا يكونُ الثَّباتُ إلى جانبِ الحقِّ ثباتًا على النَّصرِ وسرًّا من أسرارِهِ. فالشرطُ الأساسيُّ هوَّ الثَّباتُ إلى جانبِ الحقِّ.

ونحنُ عندما نلاحظُ شخصيَّةَ قائدِ المقاومةِ نجدُ أنَّها كانتِ الشَّخصيَّةَ الصَّلبةَ كالجبلِ الرَّاسخِ في طريقِ الحقِّ لا تُزلزلُها العواصفُ، وهل هناكُ شجاعةٌ أعلى من الاستقامةِ والثَّباتِ على الحقِّ، وهي التي يجبُ أن تتحوَّلَ إلى درسٍ لكلِّ أتباعِ الحقِّ وطالبي الحريَّةِ في العالمِ. وها هي كلماتُهُ الصَّلبةُ تُوصيْنَا بأنْ لا نخافَ مطلقًا ما دُمنا مع الحقِّ.

٣. الصَّبْرُ والمددُ: الصَّبْرُ على الصَّعابِ في طريقِ الحقِّ لهوَّ تجلُّ آخرٍ من تجلِّياتِ النَّصرِ، فالنَّصرُ لا يأتي بسهولةٍ، وهو ليسَ هبةً للخانعينَ والضعفاءِ بل هوَّ من نصيبِ الأقوياءِ.

إِنَّ مِنْ أَجْمَلِ تَجَلِّيَّاتِ النَّصْرِ هُوَ مَظَاهِرُ وَإِرْهَاصَاتُ الْمَدَدِ الْإِلَهِيِّ
وَالنُّصْرَةِ الْمَبْذُولَةِ، فَالصَّابِرُونَ الْمُحْتَسِبُونَ عِنْدَمَا تَتَحَقَّقُ مِنْهُمْ
الِاسْتِقَامَةُ فِي نَصْرَةِ الْحَقِّ يَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ النَّصْرُ الْإِلَهِيُّ، فَيَكُونُ مَشْهُدُ
النُّصْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ هَذِهِ أَجْمَلُ مِنْ مَشْهُدِ النَّصْرِ بَعِيْنِهِ، لِأَنَّهُ بَشَارَةٌ مِنْ
السَّمَاءِ، عَلَى أَنَّ هَذَا النَّصْرَ هُوَ نَصْرٌ حَقِيقِيٌّ إِلَهِيٌّ يَسْتَأْهَلُ أَنْ نَفْرَحَ
بِهِ، وَيَكُونُ مُصَدِّقَ الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ: (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ
أَقْدَامَكُمْ).

سُرُّ النَّصْرِ:

إِنَّ النَّصْرَ بِكُلِّ مَعَانِيهِ الْمُتَقَدِّمَةِ بَدَأَ مِنَ الثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ
وَنَصْرَتِهِ وَوَصُولًا إِلَى النَّصْرِ الْإِلَهِيِّ وَتَنْزِيلِهِ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا مِنْ تَحَقُّقِ
عِلَلِهِ وَأَسْبَابِهِ بِسُحْبِ السُّنَنِ الْإِلَهِيَّةِ الْمَوْدَعَةِ فِي هَذَا الْكُونِ، وَبِالْعُودَةِ
إِلَى كَلَامِ الْقَائِدِ الْأَسَدِ وَمَوَاقِفِهِ نَجِدُ أَنَّهُ يَخْتَصِرُ هَذِهِ الْعِلَلَ وَالْأَسْبَابَ
جَمِيعًا بِسَبَبِينَ رَئِيسِيَّيْنِ، وَهَمَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَوَحْدَةُ الْمَمَانَعَةِ
وَالْمَقَاوِمَةِ.

فوحدة الممانعة والمقاومة هي حتماً شرطاً في انتصارها على كلّ المستويات من إقامة الحقّ الفاضل ووصولاً إلى الدّفاع عن الوجود مقابل الأعداء وتحقيق النّصر في هذا الميدان وفي كلّ الميادين. ومن هنا أكّد القائد الأسد على أهميّة الممانعة وجعلها ركناً أساسياً إلى جانب الإيمان بالله تعالى كسببٍ من أسباب النّصر عندما قال في خطابه على مدرج جامعة دمشق في ٢٢ حزيران ٢٠١١: (إنّ قدرَ سورِيّة أن تصيبها الملماتُ.. ولكنّ قدرها أيضاً أن تكونَ عزيزةً قويّةً مقاومةً ومنتصرةً.. وأن تخرجَ من المِحَنِ أقوى بتماسكٍ مجتمعيها.. بروسوخ قيمها.. بتصميمٍ شعبيها الذي مَنَحَهُ اللهُ الوعيَ والحضارةَ والانفتاحَ).

لاشكّ في أنّ سرّ البقاء هو نفسه سرّ النّصر، والشّعْبُ يعرفُ سرّ النّصر، وسوف تقرأ الأجيالُ الآتيةُ أنّ ركنيه الأصليين هما الدّافعُ الإلهيُّ والهدفُ السّامي، وفي مقابلِ هذا الدّافعِ الإلهيِّ الذي هو سرُّ النّصر وبقائه تبرزُ أهميّةُ تحديدِ الهدفِ السّامي.

سلاح الصمود والنصر:

عندما يصلُ البحثُ إلى نصرٍ تموزَ فهذا يعني أنَّ البحثَ قد وَصَلَ إلى الكشفِ عن رمزِ النَّصرِ وجوهرِهِ وعزِّهِ الأبدِيِّ.

نصرٌ كما تمتَّ الإشارةُ إليه هو أرفعُ وسامٍ وأرقى نصرٍ يُمثِّلُ لحظةَ تقديمٍ، وما زادَ من قيمتهِ هو ما جسَّدهُ القائدُ الأسدُ من خلالِ كلماتِهِ ومواقفِهِ من الأثرِ والتُّراثِ.

فالنَّصرُ بنظرِ القائدِ الأسدِ هو سعادةٌ وشرفٌ ورفعةٌ للإنسانيَّةِ، وكمْ هو عظيمٌ أنْ يتحوَّلَ شعبٌ بأسره إلى شعبٍ عاشقٍ للنَّصرِ، وهو ما أشارَ إليه القائدُ بشار الأسد في قوله: (عبرَ التَّاريخِ كانتِ سورية وبشكلٍ مستمرٍّ عُرْضةً لكلِّ أنواعِ الغزواتِ والاعتداءاتِ والمؤامراتِ، وعبرَ التَّاريخِ أيضاً كانَ الشَّعبُ السُّوريُّ مقاوماً وصلباً، وهذا الصُّمودُ بقيَ مستمراً حتَّى أيَّامنا هذه)!! وكمْ هو عظيمٌ أنْ يَعتبرَ الشَّعبُ الصُّمودَ سعادةً، وهو ما يعيشُهُ الشَّعبُ السُّوريُّ كما أوضحَ عندما قال:

(نحنُ في سوريةَ متفائلونَ دائماً حتَّى في أصعبِ الظروفِ، وفي أحسنِّها نزدادُ تفاؤلاً، فالتَّفاؤلُ هو الدَّافعُ للوصولِ إلى أهدافِك)، إذُ

إِنَّ صُمُودَ أَفْرَادٍ فِي شَعْبٍ يُحْيِيهِ، فَكَيْفَ إِذَا تَحَوَّلَ الشَّعْبُ إِلَى شَعْبٍ
مُسْتَعِدٍّ لِلصُّمُودِ!!

فَالصُّمُودُ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ دِفَاعًا عَنِ الْأُوطَانِ وَالْكَرَامَاتِ
وَالْمَقْدَسَاتِ هُوَ السَّلَاحُ الْأَمْضَى. وَمَنْ طَلَبَ النَّصْرَ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ
يَسْتَعِدَّ لِلصُّمُودِ، وَهَذِهِ مَعَادِلَةُ الْحَقِّ، إِذْ يَمْلِكُونَ مِنْ خِلَالِ مَعْنَى
الصُّمُودِ الرَّاقِيِ الْحَافِزَ وَالِدَّافِعَ الْإِضَافِيَّ وَالْأَعْظَمَ لِلِاسْتِعْدَادِ لِلصُّمُودِ طَلَبًا
لِلْحَيَاةِ الْكَرِيمَةِ وَالْمَصُونَةِ مِنْ ذُلِّ الْإِحْتِلَالِ وَالِاسْتِعْبَادِ وَالتَّسْلُطِ.

وَبِهَذَا السَّلَاحِ تَتَكَسَّرُ الْمَعَادِلَاتُ وَتَخْتَلُّ الْمَوَازِينُ وَيَنْتَصِرُ الْقَائِدُ
الَّذِي قَالَ فِي ذِكْرِ تَأْسِيسِ الْجَيْشِ بِتَارِيخِ ١ آبِ ٢٠١١: (إِنْ سَوْرِيَّةُ
الْعَرَبِيَّةِ شَعْبًا وَجَيْشًا وَقِيَادَةً اعْتَادَتْ أَنْ تَشِيدَ الْإِنْتِصَارَاتِ.. وَتَلْحَقَ
الْهَزَائِمَ بِأَعْدَاءِ الْوَطَنِ وَالْأُمَّةِ.. وَنَحْنُ الْيَوْمَ أَكْثَرُ تَصْمِيمًا عَلَى مِتَابَعَةِ
نَهْجِ الْكَرَامَةِ بِخَطِيٍّ وَاثْقَةٍ تَسْتَنْدُ إِلَى الْقُدْرَاتِ الذَّاتِيَّةِ.. وَتَعْرِفُ
كَيْفَ تَفْعَلُهَا لِإِضَافَةِ انْتِصَارٍ جَدِيدٍ.. وَتَرْكِ صُنَاعِ الْحُرُوبِ وَتَجَارِ
الدَّمِ يَجْتَرُونَ مَرَارَةَ الْهَزِيمَةِ وَالْخَيْبَةِ وَالْخِذْلَانِ).

لِذَلِكَ فَإِنَّ سِلَاحَ الصُّمُودِ يُفْقَدُ الْأَسْلِحَةَ الْأُخْرَى كُلَّ تَأْثِيرَاتِهَا،
فَلَا يَعُودُ لَهَا أَيَّةُ قِيَمَةٍ رَغْمَ قُوَّتِهَا وَجَبْرُوتِهَا وَقُدْرَتِهَا التَّدْمِيرِيَّةِ.

الخاتمة

إنَّ الكلماتِ والإرشاداتِ القيِّمةَ التي كانتْ تصدرُ في خطاباتِ القائدِ بشارِ الأسدِ في الأيامِ العصيبةِ، كانتْ توجِّجُ جذوةَ الإيمانِ بالنَّصرِ والدِّوافعَ المحقِّقةَ في نُفوسِنَا، وتعملُ على بَلُورَةِ معالمِ النَّصرِ لِبَيْتِ بذورِ الاطمئنانِ في قلوبِ الشَّعبِ السوريِّ، وقدْ أثمرتْ في النَّهايةِ بفضلِ العنايةِ الإلهيَّةِ، وشاهدَ العالمُ بأسرهِ صورًا من ذلكِ.

فالهزيمةُ الأخيرةُ لإسرائيلَ في لبنان ستدفعُها إلى التَّفكيرِ كثيرًا بالإجراءاتِ الضَّروريَّةِ لحمايةِ مَصرِها، والانتصارُ الأخيرُ للمقاومةِ لن يكونَ آخرَ الانتصاراتِ، وفي هذا يَصُبُّ قولُ القائدِ الخالدِ حافظِ الأسدِ: (إنَّ المصاعِبَ والمؤامراتِ التي نُواجهُها ليستْ نهايةَ المصاعِبِ والمؤامراتِ، لأنَّ الإمبرياليَّةَ وعملاءَها سيحاولونَ خلقَ المُشكلاتِ والصُّعوباتِ لنا).

ولكنْ كيفَ يجبُ أنْ تَسْتَنْمِرَ الأُمَّةُ العربيَّةُ هذا النَّصرَ الذي حَقَّقَتْهُ الممانعةُ والمقاومةُ؟

إِنَّ النَّصْرَ الَّذِي حَقَّقَهُ الْقَائِدُ الْأَسَدُ كَانَ أَيْضًا هَزِيمَةً لِلْمَرَاهِنِينَ عَلَى سَقُوطِ سُوْرِيَةِ، وَصَفْعَةً لِلْعَمَلَاءِ الْمُتَخَاذِلِينَ وَجُوقَةَ الْخُوْنَةِ مِنْ دَعَاةِ التَّبَعِيَّةِ. وَإِنَّا فِي قَلْبِ الْأَمْلِ الصَّامِدِ الْمُنِيعِ الشَّامِخِ، وَمَهْمَا كَانَتِ الْحَرْبُ طَوِيلَةً الْأَمْدِ، فَالْقَائِدُ الْأَسَدُ بِرُؤْيِيَتِهِ الصَّافِيَةِ سَيَحَقِّقُ النَّصْرَ الْمُبِينَ دَائِمًا فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ.

إِنَّهُ زَمَنُ النَّصْرِ... هَذَا زَمَنٌ تَنْحِنِي فِيهِ كُلُّ أَزْهَارِ الْمَقَاوِمَةِ تَحِيَّةً لِلرَّئِيسِ الْخَالِدِ حَافِظِ الْأَسَدِ.

أَخِيرًا:

أَكْتُبُ لِلْحَقِيقَةِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ جِزْءًا، وَأَكْتُبُ أَيْضًا لِلْخَالِدِ حَافِظِ الْأَسَدِ الَّذِي لَوْلَاهُ لَكَانَتْ سُوْرِيَةُ قَدْ أَصْبَحَتْ فِي مَهَبِّ الرِّيْحِ.

حَافِظُ الْأَسَدِ الْقَائِدُ الَّذِي نَفَخَ الرُّوحَ فِي الْمَقَاوِمَةِ، وَنَذَكَرُ بِمَا قَالَهُ السَّيِّدُ الرَّئِيسُ بَشَارَ الْأَسَدِ: (إِنَّ جَهَنَّمَ تَطْرُقُ أَبْوَابَنَا، وَإِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْعَلَ شَيْئًا سِوَى بَاسْتِرَاتِيْجِيَّةٍ مُشْتَرَكَةٍ تَتَنَاوَلُ كُلُّ مَنَاحِي حَيَاتِنَا).

ويبقى القول:

إنَّ فصولَ هذا الكتابِ ليستْ إلاَّ محاولةً متواضعةً لاستجلاءِ معاني وأبعادِ نهجِ وفكرِ القائدِ الأسدِ، وذلكَ بالاعتمادِ على ما أمكنَ الوصولُ إليه من كلماتٍ ومواقفِ القائدِ بما سمحَ به الوقتُ القصيرُ، وإلاَّ فإنَّ رحابةَ الفكرةِ وبعْدَ القضيةِ وعمقَ الرُّوحِ التي تشكَّلتُ منها شخصيَّةُ القائدِ المنتصرِ على الدَّوامِ، لا يحيطُ بها مؤلِّفٌ أو كلامٌ، وتُنبيكَ عن هذا الرُّوحِ كلماتٌ للقائدِ قالها في ساحةِ التَّحدِّي الصَّعبةِ في أوجِ احتدامِ الصُّراعِ.

إلاَّ أنَّ القائدَ الأسدَ سوفَ يُكْمِلُ طريقَه المُحقِّ الذي هو الصُّراعُ ضدَّ الباطلِ، وبعونِ اللهِ فإنَّهُ سوفَ يقفُ على جانبِ تعبئةِ الحقِّ.

المراجع

١. حوار الرئيس بشار الأسد مع القناة الفضائية السورية بتاريخ ٢٣/٨/٢٠١١.
٢. كلمة الرئيس بشار الأسد للقوات المسلحة بذكرى تأسيس الجيش ١/٨/٢٠١١.
٣. خطاب الرئيس بشار الأسد على مدرج جامعة دمشق بتاريخ ٢٢/٦/٢٠١١.
٤. الكلمة التوجيهية للرئيس بشار الأسد أمام مجلس الوزراء بتاريخ ١٦/٤/٢٠١١.
٥. خطاب الرئيس بشار الأسد أمام مجلس الشعب بتاريخ ٣٠/٣/٢٠١١.
٦. حديث أدلاه السيد الرئيس بشار الأسد إلى القناة الثانية والخامسة في التلفزيون الفرنسي بتاريخ ٢١/٠٣/٢٠٠٧.
٧. حديث الرئيس بشار الأسد لصحيفة الأنباء الكويتية بتاريخ ٧/١٠/٢٠٠٦.
٨. حديث الرئيس بشار الأسد لصحيفة الباييس الاسبانية في ٢٧/٩/٢٠٠٦.
٩. كلمة الرئيس الأسد في مؤتمر المغتربين السوريين بدمشق ٩/١٠/٢٠٠٤.
١٠. ملامح نهج التطوير والتحديث في كلمات السيد الرئيس بشار الأسد وأحاديثه ولقاءاته- منشورات دار البعث- ٢٠٠١.
١١. حديث السيد الرئيس بشار الأسد لصحيفة الشرق الأوسط ٨/٢/٢٠٠١.
١٢. كلمة الرئيس في مؤتمر قمة الدول الإسلامية المنعقدة في الدوحة ١٢/١١/٢٠٠٠.
١٣. الجلسة الافتتاحية لمؤتمر القمة العربية غير العادية التي عقدت في القاهرة بتاريخ ٢١/١٠/٢٠٠٠.
١٤. كلمة السيد الرئيس في مجلس الشعب بدمشق ١٧/٧/٢٠٠٠.
١٥. حديث السيد الرئيس بشار الأسد لمجلة الوسط في ٢٣/٨/١٩٩٩.
١٦. حديث الرئيس بشار الأسد للجريدة الكفاح العربي في ٤/٢/١٩٩٩.

١٧. حديث السيد الرئيس بشار الأسد لصحيفة (لاريبوبليكا الإيطالية).
١٨. المؤتمر الصحفي الذي عقده الرئيس بشار الأسد في ختام قمة الكرملين.
-

محتويات الكتاب

الصفحة	العنوان
٣	الإهداء
٥	تمهيد
٧	المقدمة
١١	الفصل الأول: قيادة الصمود
٢٠	الفصل الثاني: قرار الصمود
٢٠	- سمات قرار الصمود
٢٦	- معالم القرار الصامد
٣٠	الفصل الثالث: الصمود الأكبر
٣١	- أهمية الصمود وجذوره
٣٢	- سورية الأسد رائدة الصمود
٣٤	- مرحلة التهديد
٤٦	- صورة المعادلة
٥٢	الفصل الرابع: الدور السوري
٥٥	- عبقرية الدور السوري
٦٢	- حكمة الدور السوري

٦٣	- عقلانية الدور السوري
٦٩	- حماية الدور السوري
٧٣	- قوة الدور السوري
٧٥	- شمولية الدور السوري
٧٧	الفصل الخامس: الخط السوري
٧٨	- خط سورية الأسد
٨٤	- أبعاد خط سورية الأسد
٩١	الفصل السادس: النصر التاريخي
٩٤	- سر النصر
٩٦	- سلاح الصمود والنصر
٩٨	الخاتمة
١٠١	المراجع
